رحلاتي إلى مشرق الشمس

(اليابان - هونج كونج - ماليزيا - كوريا)

د. مازن مطبقاني



العبيكان
Obeikan

رحلاتي

إلى مشرق الشمس

(اليابان_ هونج كونج_ ماليزيا_ كوريا)



د. مازن مطبقاني

العبيكان
Obekan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مطبقاني، مازن صلاح

رحلاتي إلى مشرق الشمس - اليابان - هونج كونج - ماليزيا - كوريا ./

مازن صلاح مطبقاني. - الرياض، ١٤٣٢هـ

٢٢٤ ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٣-١٤٩-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- آسيا - وصف ورحلات أدب الرحلات.

أ- العنوان

ديوي ٩١٥،٠٤ ١٤٣٢/٣٧٦٦

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٣٧٦٦

ردمك: ٣-١٤٩-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الأخ الحبيب والأستاذ الكبير

أبي حيدر (الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد)

تعارفنا وتآلفت أرواحنا، فتأكدت مع مرور السنين أنه قلّ أن يجود الزمان بمثلك حِلْماً وكرماً.

وقلّ أن يجمع الناس على حب إنسان كما يحبونك،

فأهدي لك تجربتي هذه في كتابة الرحلات.



المقدمة

سحر الشرق، جمال الشرق، جاذبية الشرق، عبارات طالما ترددت على أقلام الكتاب والمؤلفين حتى ألفناها، ولكن سحر الغرب وجماله وحضـارته وتقنياته طغت على الساحة الفكرية والأدبية والثقافية والسياسية والاقتصادية بسبب هيمنة الغرب وسيطرته وسطوته. فكان اتصالنا بالغرب في العالم العربي من خلال احتلاله أراضينا وفرض لغته وثقافته علينا، ومن خلال الأدب العربي الذي تفنن مبدعونا في الحديث عن الغرب وحضارته وثقافته. وجاء الإعلام المرئي فازداد العرب والمسلمون إعجاباً بالغرب وانبهاراً وعشقاً وتيهاً به.

وكانت البعثات الدراسية إلى الغرب في شقيه الأوروبي والأمريكي، فزاد تعلق الكثير منّا بالغرب. كما فتحت أبواب السياحة وكانت للغرب حتى تكاد بريطانيا أو لندن بخاصة تتحول إلى عاصمة عربية. وأتيحت لي الفرصة لأن أكون مبتعثاً في الولايات المتحدة الأمريكية، فازدادت معرفتي بالغرب وثقافته وحضارته وسحره وجماله. وزاد الاهتمام

حين توجهت إلى دراسة الاستشراق (الجهود الأكاديمية الغربية حول الإسلام والمسلمين)، فاستمرت صلتي تقوى بالغرب.

وعملت في الخطوط السعودية، وتطلب عملي أن يكون تخصصي وسفري إلى الغرب، مع أنني كنت أسمع عن السفر إلى الشرق وجماله، بل كم سمعت عن سفر رئيسي في العمل إلى تايبيه وسيول وبانكوك وطوكيو وغيرها. وكانت تمر في خاطري رغبة في أن أستكشف هذا العالم. ولكن لم يكن الأوان قد حان بعد.

ومنّ الله عز وجل عليَّ بالرحلة إلى الشرق، فكانت أولى رحلاتي إلى الفلبين قبل ما يزيد على عشرين سنة رحلة سياحية قصيرة غلب عليها التسوق. ولكن لم تكن تلك نهاية المطاف، فقد عرفت عن مؤتمر للرابطة العالمية لتاريخ الأديان يعقد في طوكيو باليابان، فكانت أولى رحلاتي عام ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م) لحضور المؤتمر، فقضيت عدة أيام زيادة على حضور المؤتمر لزيارة جامعة طوكيو والمؤسسة اليابانية. فتوطدت صلاتي باليابان وخصوصاً حينما كلفت من مركز الملك فيصل بأن أعد مشروعاً لإنشاء الدراسات الإقليمية في الجامعات السعودية، فكان مثال اليابان أحد الأمثلة التي قدمتها في المشروع، فأعجب اليابانيون لاهتمامي بهم، حتى إنهم ترجموا ذلك الجزء إلى لغتهم.

وتوطدت الصلة بيني وبين بعض الجهات الثقافية اليابانية كالبروفيسور يامائوتشي من جامعة طوكيو وبعض الباحثين اليابانيين والمؤسسة اليابانية، فوجهت إليَّ دعوة لقضاء أسبوعين ضيفاً على المؤسسة، فشددت رحالي مصطحباً خديجة وهاشم في سياحة رائعة، عرفت عدة مدن يابانية غير

طوكيو مثل كيوتو وأوزاكا وهيروشيما. وكانت هذه الرحلة فرصة للتعرف على اليابان أكثر معرفة بمؤسساتها العلمية ومتاحفها وطبيعتها.

سرت في شوارعها وأزقتها، ورأيت طبيعة اليابان الخلَّابة، وأعجبت بطريقة اليابانيين في تنسيق الحدائق، فعلى الرغم من الجهد الكبير في التنسيق تبدو قريبة من الطبيعة التي يشعر الإنسان فيها بالارتياح والطمأنينة، وتصر زوجتي خديجة على أن هذه الرحلة من أجمل الرحلات التي قمنا بها.

وكانت محطتي الثانية في الشرق ماليزيا وخصوصاً العاصمة كوالالمبور لحضور مؤتمر في الجامعة الإسلامية العالمية حيث أقمت بضعة أيام رأيت الأمطار تهطل في كوالالمبور بغزارة لم أعرفها من قبل، فكمية المطر التي كانت تسقط في ساعة تساوي ما يسقط في المدينة المنورة عشرة أعوام. كما رأيت الغابات وجمال الطبيعة الخلاب.

ولأهداف أكاديمية بحتة وهي الاطلاع على برنامج الدراسات الأمريكية في هونج كونج زرت الجامعة المشهورة هناك وبرنامجها، وأمضيت أياماً تعرفت على عالم هونج كونج الصاخب في جانب، وعالمها الجميل من جانب آخر في الجهة التي تقع فيها الجامعة. زرت أسواقها الليلية، وطاردني بعض باعة البضائع المقلدة - والتقليد عندهم على درجات - لا يعرضون لك البضاعة كلها في الشارع، بل لا بد أن تسير معهم في مكان غير بعيد عن الأعين.

وتوالت زياراتي إلى الشرق، فزرت تايوان في رحلتين: إحداهما برفقة سمو رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تعرفنا خلالها على الجمعية الإسلامية، وصلينا الجمعة معهم، وكان لقاءً جميلاً، تعرفنا على جانب من حياة المسلمين في تايوان، كما في جامعة شانج شي الوطنية، والتقينا طلاب قسم اللغة العربية وآدابها، الذين أظهروا حبهم للغة العربية وإتقانهم لها، فاقترحت أن يتطور القسم ليصبح للدراسات العربية والإسلامية أو دراسات الشرق الأوسط. وكان هذا الاقتراح سبباً في زيارتي الثانية بالإضافة إلى حضوري مؤتمر الرابطة الآسيوية لدراسات العولمة في مدينة تشائي في الجنوب التايواني، والاشتراك في ندوة حول مستقبل علاقات تايوان بالشرق الأوسط.

وزرت الهند لحضور المؤتمر السابع لجمعية الدعوة الذي يحضره أكثر من مئتي ألف مشارك، ويشتمل على ندوات ومحاضرات وفعاليات ثقافية واجتماعية.

وسافرت إلى أقصى أقصى الشرق إلى أستراليا، حيث زرت جامعة سيدني وجامعة كانبيرا (عاصمة أستراليا)، وتعرفنا إلى الجالية المسلمة أو المسلمين الأستراليين، الذين استطاعوا بقوة أن يتجاوزوا محنة الحادي عشر من سبتمبر، ويثبتوا أقدامهم في أستراليا، ليحافظوا على دينهم وقيمهم وشخصيتهم، حتى رأينا تلك المدرسة الابتدائية التي لا يمكن أن ينساها الإنسان، لروعة الجهود في المحافظة على اللغة العربية، وقدرة الأطفال على التحدث بها، وما قدموه من خطب ومشاهد تمثيلية جميلة.

وهكذا تعرفت إلى الشرق. وفي الصفحات الآتية أقدم لك أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة لمحات سائح أكاديمي (في المقام الأول) عن هذا العالم، الذي وصف بالساحر والجذاب والمثير. وكان كما قيل وأكثر، فأرجو أن تجد فيه المتعة والفائدة والتسلية.

مازن مطبقاني

الرياض-١٥ ربيع الآخر ١٤٣١هـ



الرحلة إلى اليابان

ا لرحلة الأولى إلى اليابان[1]

ما إن بدأ العام الدراسي ١٤٢٥/١٤٢٦هـ حتى علمت عن مؤتمر يعقد في اليابان بعنوان: (المؤتمر العالمي التاسع عشر للرابطة الدولية لتاريخ الأديان) في الفترة من ٢٤ إلى ٣٠ مارس ٢٠٠٤، فقدمت إلى جامعة الملك سعود بطلب الإذن، وكما يقولون وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى؛ لأن تجاربي السابقة أفقدتني الرغبة في حضور المؤتمرات بإذن من جامعتي أو بتمويل منها. وشاء الله أن تأتي الموافقة، فأعددت البحث بعد أن قُبِلَ ملخصه. أما علمي عن المؤتمر فقد كنت أحضر مؤتمراً في جامعة ليدن في أواخر عهدي بجامعة الإمام فوجدت مطوية عن المؤتمر.

وعندما حصلت على الموافقة من الجهة المنظمة للمؤتمر على موضوعي المعنون بـ (العولمة والهوية الإسلامية)، الذي تناولت فيه قضية العولمة، والحرب على الهويات القومية والهويات الدينية، وإذابة

---

(١) قمت بهذه الرحلة في مارس ٢٠٠٤م.

الشعوب المختلفة في الهوية الأمريكية والغربية. عزمت على المشاركة والسفر إلى اليابان - وهو بلد بعيد - فكان لا بد من السفر عن طريق بلد متوسط، فكانت هونج كونج Hong Kong، التي تتوقف فيها خطوط كاثي باسفيك Cathay Pacific Airways . التي سافرت عليها. وكانت قد تأخرت في إقلاعها من الرياض، فكان الوقت المخصص للانتقال إلى الطائرة المقبلة إلى طوكيو قليلاً وسرت مسرعاً، وإن كنت قد وجدت مساعدة من موظفي الشركة، لعلمهم بوجود ركاب يواصلون إلى اليابان وإلى مناطق أخرى.

وصلت اليابان فكان عليَّ الذهاب إلى الفندق: إما بسيارة أجرة ويكلف استخدامها أكثر من مائة دولار، أو حافلة بثلاثين دولاراً، لذلك اخترت الحافلة، وكنت أعرف اسم الفندق -الذي حجزت فيه عن طريق الإنترنت -فأنزلني سائق الحافلة في الجهة المقابلة من الفندق، ومشيت بضع خطوات إلى الفندق. وكانت الغرفة صغيرة على الرغم من أن الأجرة لم تكن متواضعة، فاليابان من أغلى بلاد العالم، حيث إن فنجان القهوة في الفندق يصل إلى نحو أربعين ريالاً.

خرجت من الفندق لأتعرف على المناطق المحيطة وكذلك الطريق إلى مكان انعقاد المؤتمر، الذي تبين لي أنه ليس بعيداً، لكنه كان يتضمن بعض الصعود، ولكنه مشوار محتمل.

ما إن ركبت الحافلة حتى لاحظت أن السائق يجلس على يمين السيارة، أي أن السير سيكون على اليسار، فتعجبت: لماذا اختارت اليابان هذه الطريقة؟ هل أراد اليابانيون أن يخالفوا الأمريكيين؟

كان من أول أعمالي هناك زيارة جامعة طوكيو لمقابلة البروفيسور يامائوتشي الذي زار المملكة، فقابلته للتعرف على الدراسات الإقليمية في اليابان. وكان البروفيسور قد شارك في ندوة عن الدراسات العربية والإسلامية في اليابان عقدت في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عام ٢٠٠٣م، وكنت مدير إحدى جلسات الندوة. وكان اللقاء مع يامائوتشي في الرياض مهماً، لأنني اطلعت على شروط القبول في الدراسات الإقليمية، ومنها أنه لابد أن يكون الطالب قادراً على دراسة اللغات الأجنبية، ويتمتع بشخصية تقبل التحديات، وأن يكون ذا طموح وذكاء، وتذكرت القبول في بعض الجامعات لدينا ، فكان من الشروط أن يكون مرضياً عند الإدارة، أما إتقان لغة أجنبية أو القدرة على ذلك فأمر يمكن التسامح فيه. وبالنسبة للروح الطموحة والقابلية للتحديات فأمر لا داعي له مطلقاً؛ لذلك لم ينجح القسم في تخريج الباحثين الذين يمكن أن يواصلوا دراساتهم بطريقة ناجحة.

سألتُ موظفة الاستقبال عن جامعة طوكيو. فقالت: إنها في منطقة تدعى ميجرو، فأخذت خارطة قطارات الأنفاق، فعرفت الاتجاه واشتريت التذكرة وركبت القطار، وصرت كلما قطع محطة قمت إلى الخريطة خوفاً أن أكون ركبت القطار الخطأ، حتى وصلت إلى منطقة بعيدة في طوكيو، وخرجت أبحث عن الجامعة، وسألت عن الكلية التي جئت إليها. فقيل لي: هنا كلية الزراعة، وكلية الهندسة أما الآداب والفنون ففي مكان آخر في طوكيو، وسألني حارس أمن: ألديك موعد مع البروفيسور يامائوتشي؟ وتعجبت لماذا يسألني حارس أمن في كلية الهندسة أو الزراعة

عن موعدي مع أستاذ في كلية الاقتصاد والإدارة، ولكن يبدو أحياناً أن طبيعة الوظيفة تفرض نوعاً من التدخل في شؤون الآخرين، فقط لإزجاء الفراغ أو لإضفاء أهمية على وظيفته. ومع ذلك أجبته: نعم، قال: هو ليس في هذا العنوان. فاضطررت إلى أخذ تاكسي حتى ألحق الموعد، وكلفني التاكسي ما لا يقل عن أربعين دولاراً. ووصلت تقريباً في الموعد، حتى إذا كنت عند باب الكلية اتصلت من عند الأمن لأخبر الدكتور أنني وصلت متأخراً لخطأ في العنوان. وكنت في اليوم السابق قد سألته: كم يستغرق الوصول إليك من الوقت؟ قال: ربع ساعة، ولكن العنوان الذي أعطتني إياه موظفة الفندق استغرق أكثر من أربعين دقيقة. وقد كان الموعد الساعة الحادية عشرة صباحاً، فخرجت من الفندق الساعة الثامنة والنصف، لذلك فقد كنت محتاطاً لمثل هذا الضياع. وكما يقول المثل: «الغريب أعمى ولو كان بصيرًا». وقد أعجب البروفيسور خروجي المبكر من الفندق تحسباً لأي طارئ مثل الضياع.

كان اللقاء في مبنى ١٤ من كلية الآداب والإدارة، وأخبرني أنه في الطابق الخامس، ولما صعدت وتجولت في الطابق لم أجد اسمه فنزلت إلى الطابق الرابع فوجدت مكتبه. وبعد الترحيب والسؤال شاهدت المبنى الجديد للدراسات الإقليمية، وكان بعض الأساتذة قد تسلم مكتبه الجديد، وكان بعضهم يرتب الكتب، فإذا بالمكاتب واسعة جداً، ويمكن للأستاذ أن يقوم بأبحاثه في مكتبه، ويبقى فيه وقتاً طويلاً، وليست مثل مكاتب أعضاء هيئة التدريس في بعض الجامعات العربية، حيث يحشر عدد من الأساتذة في مكتب واحد، بل أتذكر إحدى الجامعات اشترت

طاولات للأساتذة ربما كلف المكتب الواحد أكثر من عشرين ألفاً، ولكنه يشترك في المكتب مع ثلاثة أو أربعة من الأساتذة.

وفي هذه الزيارة أطلعني على مكتبة الدراسات الإقليمية، فوجدتها مكتبة ضخمة، وفيها مجموعات قد لا توجد في بعض الدول الأوروبية، وكانت عن اليونان والرومان وأوروبا المعاصرة. وأخبرته أننا إذا أنشأنا دراسات إقليمية يوماً ما سنحتاج إلى مثل هذه التجهيزات ونطلب مساعدتكم.

أعطيت البروفيسور ياماثوتشي نسخة من مشروعي الذي أطلق عليه الدكتور يحيى محمود بن جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (مشروع الدكتور مازن لإنشاء الدراسات الإقليمية ومراكز البحوث في الجامعات السعودية)- وكان الأولى أن يسمى مشروع مركز الملك فيصل لإنشاء الدراسات الإقليمية- وكانت السفارة اليابانية قد ترجمت الفصل الخاص بالتجربة اليابانية.

دعاني البروفيسور إلى طعام الغداء، وكانت وجبة لذيذة من سمك السلمون بعكس الطعام الياباني، الذي وجدت صعوبة في تقبل مذاقه، على الرغم من أنهم يقولون: إنه طعام صحي. لاحتوائه على المواد الغذائية المختلفة.

ثم كانت لي زيارة للمؤسسة اليابانية (Japan Foundation)، حيث التقيت المدير المسؤول عن قسم الشرق الأوسط، وقد درس العلاقات الدولية في أمريكا، ولغته الإنجليزية واضحة بعكس كثير من اليابانيين.

واسم هذا المسؤول ياشيدا Yashida، كما قابلت موظفاً آخر اسمه ساتو، وتحدثنا عن أعمال المؤسسة اليابانية وأهدافها في نشر الثقافة اليابانية في الخارج، وتشجيع التبادل الثقافي والعلمي مع الدول الأخرى، وأخبرته عن برنامج الزائر الدولي في وزارة الخارجية الأمريكية، وأنه أتاح لي الاطلاع على الدراسات الشرق أوسطية وبعض مراكز البحوث في الولايات المتحدة الأمريكية، وكأنني كنت ألمح لهم أنني بحاجة إلى دعوة مماثلة في المستقبل.

وأحب أن أتوقف هنا إلى أن الأستاذ الجامعي قد يسافر من بلده إلى بلاد بعيدة لحضور مؤتمر، ويكون كل همه أن يحضر بعض فعاليات المؤتمر، ويقضي الوقت الباقي في التسلية والترفيه والأسواق. ولكني أحمد الله عز وجل أن جعل من حضور المؤتمر مشروعاً متكاملاً للإفادة من الوقت كله، حتى إني ربما أضفت يوماً أو يومين أو ثلاثة لتحقيق هذه الأهداف. وهي بلا شك ليست مما هو مكتوب في الإذن بحضور المؤتمر، الذي يكتفي بعض الأساتذة بالحصول على شهادة الحضور، ولا يهمه مدى إفادته من المؤتمر أو من الزيارة عموماً.

☼



مؤتمر في اليابان حول الأديان

كان سفري إلى اليابان كما أوضحت سابقاً لحضور المؤتمر الدولي التاسع عشر للرابطة العالمية لدراسات تاريخ الأديان، والرابطة مؤسسة تعنى بالأديان عموماً. وقد تأسست رابطة تاريخ الأديان عام ١٩٥٠م بمناسبة انعقاد المؤتمر السابع العالمي لتاريخ الأديان الذي عقد في أمستردام، حيث كانت سلسلة هذه المؤتمرات قد بدأت في باريس عام ١٩٠٠م. وتهدف إلى تشجيع البحث العلمي في دراسة الأديان من خلال التعاون الدولي بين أولئك الذين لهم تأثير في الساحة الثقافية الدولية. وتتكوّن الرابطة من مؤسسات علمية لدراسة الدين في مختلف بلاد العالم.

وهي تضم في عضويتها ثلاثاً وأربعين رابطة من مختلف أنحاء العالم مثل: أستراليا، والبرازيل، وكندا، والصين، وكوبا، وجمهورية التشيك، والدنمارك، وفنلندا، وغيرها، وأخيراً انضمت رابطتان من بلدين إسلاميين هما إندونيسيا وتركيا.

كما أنها عضو في المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ضمن منظمة اليونسكو، وتعمل بوصفها منسقاً للأنشطة الشبيهة. ولها أنشطة عدة من أهمها: المؤتمر العالمي الذي يعقد كل خمس سنوات، بالإضافة إلى مؤتمرات فرعية تعقد من حين لآخر في أماكن مختلفة من العالم، لتوثيق صلتها بالهيئات والمؤسسات المثيلة.

ويتكون هيكل الرابطة من الآتي:

- الجمعية العمومية، وتجتمع مرة كل خمس سنوات خلال المؤتمرات الرئيسة.
- اللجنة الدولية، وتجتمع خلال كل مؤتمر رئيس، وهي التي تنتخب الأعضاء الاثني عشر لمدة خمس سنوات.
- اللجنة التنفيذية، وتتكون من اثني عشر عضواً يُنتخبون من قبل اللجنة الدولية، ليمثلوا مناطق العالم الجغرافية المختلفة من أكاديميين متخصصين في الدراسات الدينية.

أنشطة الرابطة في مجال النشر:

تنشر الرابطة مجلة بعنوان Numen. International Review for History of Religions ، وتتولى نشرها مؤسسة بريل Brill بهولندا، كما أن للرابطة سلسلة كتب ظهر منها ثمانون كتاباً حتى الآن. كما تُشرِف الرابطة على كتاب نصف سنوي بعنوان: (علم الدين)، وهو عبارة عن مستخلصات للمقالات والبحوث الحديثة في مجال العلوم الدينية. كما تصدر الرابطة نشرة وفقاً للمناسبات تتناول أخبار الرابطة، ويمكن الحصول عليها من موقع الرابطة www.iahr.dk

والرئيس الشرفي للمؤتمر: الأمير الياباني ميكاسا Mikasa الذي ترأس المؤتمر التاسع، الذي عقد في اليابان عام ١٩٥٨م، وشارك في العديد من المؤتمرات، وقام بدراسة الأديان دراسة علمية، وكان أول رئيس لجمعية دراسات الشرق الأدنى، التي أسست في اليابان عام ١٩٥٤م، وله كتابات مهمة في هذا المجال.

وقد تم تنظيم المؤتمر التاسع عشر برعاية:

- المجلس العلمي الياباني.
- المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية.
- الرابطة اليابانية لدراسات الأديان.
- المؤسسة اليابانية Japan Foundation .(١)

التنظيم الأساسي للمؤتمر:

يتكون المؤتمر من ستة أنشطة أساسية هي:

- الندوة الافتتاحية، وكانت بعنوان: «الأديان والحوار بين الحضارات»، وتناولت ما يمكن أن تقدمه الأديان للسلام في العالم، وما يمكن أن تقدمه الدراسات العلمية في هذا المجال.
- الجلسات العامة، وتحدّث في كل جلسة باحث متميز في أحد محاور المؤتمر الستة.

---

(١) وقد تأسست عام ١٩٧٢م بصفتها ذات شخصية قانونية اعتبارية لتتولى مسؤولية التبادل الثقافي، وأصبحت مؤسسة مستقلة في أكتوبر عام ٢٠٠٣م، ومن أبرز أهدافها ما يأتي:

- تشجيع التبادل الثقافي والفني.
- تشجيع تعليم اللغة اليابانية والتبادل العلمي والثقافي.
- تشجيع الدراسات اليابانية لما وراء البحار.
- تشجيع تبادل المعلومات مع الدول الأخرى والتبادل الثقافي.

- الحلقات المنظمة، وتناولت الأديان في اليابان.
- الحلقات العلمية.
- الأوراق الفردية.
- حلقات البحث المستديرة.

محاور المؤتمر:

يتكون المؤتمر من ستة محاور هي:

١- الأبعاد الدينية للحرب والسلام.

٢- التقنية.

٣- الموت والحياة.

٤- الأديان العالمية والثقافات المحلية.

٥- الحدود والتمييز.

٦- المنهج والنظرية في دراسات الدين.

أنشطة ثقافية

تضمن المؤتمر عدداً من المناشط الثقافية منها:

- حفل استقبال عام لجميع المشاركين في المؤتمر الذين نَيَّفَ عددهم على الألف وسبعمائة.
- فقرة فنية للرقص الياباني القديم، وفقرة لعازف عود عربي من حلب -سوريا- ، هو محمد قدري دلال.
- حفل استقبال للمشاركين من رابطات شرق آسيا (بدعوة).
- حفل استقبال للرابطة الأفريقية لدراسات الأديان (بدعوة خاصة).

- حفل عشاء عام يوم ٢٩ مارس ٢٠٠٥م.
- معارض كتب. شارك عدد من دور النشر العالمية منها: برل E.j Brill. وروتلدج Routledge، بالإضافة إلى دور نشر يابانية مهتمة بدراسات الأديان.

وقائع المؤتمر:

تقديم:

أكد هذا المؤتمر أهمية الدين ودراسته في العالم، وذلك من خلال العدد الكبير من الباحثين والمؤسسات والرابطات المهتمة بالدين. كما أن اتساع نطاق البحوث حول الدين وقضاياه المختلفة وتأثيره في حياة البشر يؤكد: أن التدين فطرة أساسية[1].

في بداية المؤتمر حاولت أن أعرف الجلسة التي أدرج فيها بحثي فلم أجد اسمي، فراجعت رئاسة المؤتمر لإدراجي، وتنقلت من مسؤول إلى مسؤول حتى أدرج بحثي في إحدى الجلسات، وأحسست حقاً بأنني في الشرق لوجود بعض الفوضى، وربما كانت ضخامة المؤتمر هي السبب في بعض الأخطاء.

---

(١) ومن العجيب أنه بعد سنتين تقريباً من هذا المؤتمر كنت في بيروت في المؤتمر السنوي لمعهد فنون الاتصال بالجامعة اللبنانية الأمريكية، فتحدث مدير المعهد الدكتور رامز معلوف مشيراً إلى أن الدين ليس له أثر في الحياة الاجتماعية، وأشار إلى عالم اجتماع أمريكي، بل أضاف قائلا: إن الأديان من أبرز أسباب المشكلات والخلافات الاجتماعية. وهذا الأمر عكس الحقيقة، ولكن قاتل الله بعض البحوث الأكاديمية، كيف تقلب الحق باطلاً والباطل حقاً. والغريب أنه لم يعترض أحد على ما قاله رامز معلوف في بيروت. وقد حصلت على البحث المشار إليه من الإنترنت، ولعله يتيسر لي قراءته مستقبلاً.

حضرت حفل افتتاح المؤتمر، وكان من أولى الفقرات قيام فنّان ياباني بقرع الطبول مع إصدار أصوات معينة، وكأنها طقوس تعبدية، معينة لكني لم أفهمها.

وفي ختام الافتتاح بعد الكلمات والخطب والاهتمام بالدين في العالم والتعايش بين الأديان والحوار ظهرت فرقة من البوذيين قدمت فقرة دينية لم أجلس لمشاهدتها، ولكني فكرت لماذا لا يكون افتتاح مؤتمر عن الأديان باختيار ممثلين عن الأديان المختلفة أو الكبرى، لقراءة بعض النصوص من كتبهم المقدسة، فما أجمل من أن يتلو قارئ بصوت جميل بعض آيات الذكر الحكيم حتى إن كنّا سنسمع بعض التراتيل الكنسية فنحن مأمورون بأن نسمعهم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾ الآية

لاحظت أن عدد الحلقات الخاصة بالإسلام في هذا المؤتمر قليلة جداً، والرابطة تتكون كما أشرت من عدد من المؤسسات والهيئات الدولية المختلفة، والمسلمون قليلون فيها، حتى إنه لم ينضم إليها إلا إندونيسيا وتركيا مؤخراً. وقد اقترحت على الجمعية السعودية للعقيدة أن تشترك في الرابطة، وقدمت لهم معلومات وافية عن المؤتمر، ولا أدري هل يستجيبون أو لا؟ أو ليس عندهم من يمثل العقيدة الإسلامية باللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى.

☼



مؤتمر عن الأديان في اليابان(٢)

ذكرت في الصفحات السابقة أن عدد البحوث المقدمة عن الإسلام قليلة جداً، حتى هذا القليل قدمه باحثون غربيون وغير غربيين، ولم يحضر من السعودية سوى كاتب هذه الأسطر، وبعض العرب المسلمين الذين حضروا، كان منهم بعض الإخوة من ماليزيا، وحضر الشيخ صلاح كفتارو ابن مفتي سوريا السابق. ومن الباحثين الغربيين الذين قدموا عن الإسلام محترفون في الدراسات العربية والإسلامية، فهم يقدمون بحوثاً أشبه بالتقارير الاستخباراتية.

تحدث أحد المشاركين في هذا المؤتمر عن مقارنة الأديان، وأنها بدأت في ألمانيا في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، وكأن العالم هو أوروبا وأوروبا هي العالم، ألم يسمع بابن حزم أو الشهرستاني أو البغدادي أو ابن تيمية؟!! أمر الأوروبيين غريب يرون أنهم الأصل في كل شيء.

إن الاهتمام بالأديان والأمم والشعوب قديم في تاريخ حضارتنا، لقد درسنا الشعوب والأمم الأخرى، وكان عندنا وصف لهم على

الحقيقة التي كانوا عليها، فها هو سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يقول عن الحبشة: (**إن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد**). ويقول عمرو بن العاص في وصف الروم تلك القولة التي أوردها صاحب شرح صحيح مسلم في كتاب الفتن قوله: «**إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم أحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك**». ولما دخل رسول الجيش الإسلامي على كسرى، وأراد أن يجلس معه على عرشه حاول الحرس أن يبعدوه، فقال لهم تلك القولة العظيمة التي تدل على الوعي السياسي والفلسفي: «**كانت تبلغنا عنكم الأحلام أنكم تتساوون فيما بينكم، فإذ بكم يستعبد بعضكم بعضاً، إنَ قوماً هذا حالهم فمصيرهم إلى زوال**».

والعجيب أن قدم جون اسبوزيتو لنا نقداً عنيفاً في إحدى دورات الجنادرية، حين قال: أنتم ترون عدد المتخصصين منّا بالإسلام وبالعالم الإسلامي، فأنا شخصياً ألفت ما يزيد على عشرين كتاباً عن الإسلام، وشاركت في عشرات المؤتمرات، وكتبت مئات المقالات عن الإسلام، فأين المتخصصون منكم في النصرانية أو دراسة الغرب عموما؟! وقد قدمت سؤالاً لمدير الجامعة الإسلامية، وكان يرأس إحدى الجلسات في ندوة (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية) بقولي: قال أسبوزيتو في الجنادرية -وذكرت قوله- والمسلمون في تاريخهم لهم جهود كبيرة في دراسة الأديان والفرق، فهل ثمة محظور شرعي في أن يتوجه نفر منّا لدراسة الأديان والأمم والشعوب الأخرى؟ قال: لا أبداً، ثم قام الدكتور



عبد الراضي[1] وقال: أنا مستعد أن أقوم بذلك إن أعطيتموني منحة للقيام بهذه الدراسات، فقال له المدير: أنت لا يمكن أن تترك وظيفتك للدراسة الآن. فمتى نبدأ حقاً بدراسة الشعوب والأمم من النواحي العقدية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية؟

أقيم في اليوم الأول حفل استقبال للمشاركين للتعارف، وكنت الوحيد من السعودية، فكنت أتنقل في قاعة الاحتفال وأجد صعوبة في أن أقتحم على أحد حديثه للتعارف، ولكن بعد قليل وجدت أنني أعرف أكثر من أربعة أو خمسة أو أكثر، وكان من بينهم المستشرق جاك واردنبرج الذي يحمل الجنسية الهولندية، ويسكن في سويسرا، ويعمل في جامعة لوزان -قبل تقاعده-، وهو الذي كتب مادة (مستشرقون) لدائرة المعارف الإسلامية، وكنت لقيته في تطوان بالمغرب عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) حين كنت أحضر مؤتمر جامعة عبد المالك السعدي عن الاستشراق والدراسات الإسلامية، كما لقيت بروس بنيت أستاذ الأديان بجامعة ديوك في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان قد دعي من قبل السفارة الأمريكية ليلقي عدداً من المحاضرات حول دراسة الإسلام في الجامعات الأمريكية -عمل دعائي بحت- وأخبرته عن كتابي عن رحلاتي إلى أمريكا فقال كلمة لا أريد أن أعيدها هنا، ولكن فحواها أنني فهمت الولايات المتحدة فهماً عميقاً. وأثنى أمام بعض المستشرقين وتلاميذهم وأعترف بأنني من أكثر الباحثين العرب فهماً للغرب.

---

(١) الدكتور عبد الراضي عبد المحسن أستاذ مشارك في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حصل على الدكتوراه في الفلسفة والدراسات الإسلامية من ألمانيا، وله اهتمام بدراسات المستشرقين حول الإسلام والمسلمين.

في هذه المؤتمرات تجد البعض يبدي اهتماماً بك، وبالبلد الذي جئت منه، والبحث الذي تشارك فيه، بينما البعض الآخر لا يعيرك أي اهتمام، وأنت تجد نفسك منجذباً لشخص تهتم به وتسأل عنه، ولا تراك تعير شخصاً آخر أي اهتمام. وكان من بين الذين قابلت في الحفلة صلاح الدين كفتارو مؤسس مؤسسة الكفتارو التي يقع مقرها بالقرب من قبر ابن عربي -يفتخر جرجن نيلسون رئيس المعهد الدنمركي بدمشق بمعرفته به وبالمفتي وميل الاثنين إلى التصوف-.

وبعد وقت لقيت مجموعة من الباحثين من ماليزيا درس بعضهم في بريطانيا، وبعضهم درس في المدينة المنورة، وهم يعملون في الجامعة الإسلامية العالمية ذات التوجه الغامض والسلوك العجيب. وأخبرتهم بأنني كنت على وشك العمل في جامعتهم، لولا أنني عرفت أن مدير الجامعة حينذاك لم يكن يحب السعوديين ليعملوا معه، فضحكوا موافقين.

وفي جلسة من جلسات المؤتمر تحدث باحث ماليزي عن إندونيسيا والحركات الإسلامية وما واجهته هذه الحركات وتواجهه من صعوبات، وتحدث عن ربط الإسلام بالعنف، وقال: إن الأمر غير صحيح، ولكن الناس حين يُحْرَمون أن يَحْكُمَهم دينُهم لا بد أن يكون لديهم ردود أفعال، ولذلك فعلينا إعادة النظر في الحركات الإسلامية.

وهنا وددت لو قمت معلقاً لأقول: «إن رئيس وزراء إندونيسيا عند الاستقلال أو بعده بقليل له كتاب بعنوان: (سرقة الثورات)، تحدث فيه عن المسلمين وبيّن أنهم يضحون بأرواحهم، ويجاهدون لطرد المحتل

الأجنبي، ويسعون لأن يحكم الإسلام حياتهم بعد طرد المحتل الغاصب، ولكنهم يفاجأون بمن يسرق الثورة منهم في وضح النهار، وتتحول البلاد إلى الاتجاه المعاكس المحارب لله ولرسوله. وهذا ما حدث في الجزائر، حيث جاهد الجزائريون ليأتي من ينقل البلاد إلى الاشتراكية، وما حدث في عدن لتخرج بريطانيا وتصبح عدن شيوعية.

قدم أحد الباحثين -ربما من السويد- بحثاً عن استخدام المسلمين للمعلوميات والتقنية. فقلت له: إننا نتأخر في فهم هذه الأمور، ولكننا نستخدمها بعد غيرنا، ومن ذلك الإنترنت التي دخلت العالم العربي متأخرة، ومازلنا متخلفين في هذا المجال. ولعل في قيام باحث أجنبي بدراسة هذه الأمور يبصرنا بمواطن الخطأ في سلوكنا، ويجعلنا نعدل هذا السلوك فيما بعد. فهذه التقنيات يمكن أن تكون سلاحاً ذا حدين يمكن استعمالها في الخير فتنشره، ويمكن أن نحارب بها الشر.





مشاهدات من الرحلة الأولى إلى اليابان[1]

لا أحتاج أن أقول إن اليابان نظيفة ومرتبة، وأن لديهم وسائل مواصلات راقية، فذاك كلام لا ضرورة له، فإن القوم قد نهضوا نهضة حقيقية في المجالين العمراني والصناعي، تشهد بذلك شوارعنا والتايوتا والداتسون أو الداستون والهوندا والأدوات الكهربائية والإلكترونية. إن القوم إذا بنوا الشارع أخلصوا في بنائه، فلم يحفروه في اليوم الآتي أو بعد أسبوع أو شهر أو سنة، وإن شيدوا جسراً لم يغلقوه خوفاً عليه من الانهيار. وقد أسسوا مدارس ومعاهد وجامعات. ولكني سأتحدث في هذه المقالة عن بعض المشاهدات والطرائف والمسليات والمؤانسات.

يضع بعض اليابانيين كمّامات على أفواههم وأنوفهم، فهل المسألة ترجع إلى حرصهم على الصحة، لكنها ظاهرة لم أجدها إلاّ هنا ومن بعض الحجاج وبخاصة حجاج جنوب شرق آسيا. هل انتشار الأوبئة كالسارس وإنفلونزا الطيور وكثرة السيارات هي السبب في ذلك؟ ولو كنت صحفياً لأوقفت أحد المكممين وسألته عن سبب وضع الكمامة.

ولكن بأي لغة نتخاطب؟!!!! واليابانيون يعتزون بلغتهم لدرجة مزعجة. حتى إنني اشتريت مِلْحاً ظناً مني أنه سكر!! فقررت في المرة القادمة أن أسأل حتى لو لم يفهمني البائع، فإنني سأحاول معه بلغة الصم البكم؛ أي لغة الإشارة. ومع ذلك فقد سألت فيما بعد فعرفت أن انتشار الأنفلونزا وأمراض البرد الأخرى يجعل البعض يرتديها، وفكرت أنني في بلادنا نحتاج إلى كمامات تقينا الحر والغبار.

وفي الأسواق اليابانية يستخدمون الأشخاص أو العنصر البشري للدعاية للمحال التجارية، ومن ذلك أنني رأيت فتاتين تقفان أمام متجر لبيع السجائر، وتحمل كل واحدة منهما لوحاً من البلاستيك عليه صور علب السجائر، تبتسمان للمارين وكأنهما تقولان: تعالوا إلى نوع من الموت، نريد قتلكم لو اخترتم هذا النوع من الموت. وأمام مطعم يقف رجل عجوز وبيده لوحة فيها اسم المطعم أو أسماء الأطعمة. وهناك وظائف غريبة في اليابان مثل وقوف أحدهم أمام أحد مواقف السيارات، ليساعد السيارة الخارجة من الموقف، ويؤشر للمارة أن يبتعدوا أو السيارات المارة أن تقف، ريثما تخرج السيارة من الموقف.

ويستخدم اليابانيون الأرصفة لبيع أشياء كثيرة، أو على الأصح للإعلان عن أشياء كثيرة، ومن ذلك بيع الاشتراكات في بطاقات الفيزا إن فهمت فهماً صحيحاً.

وفاء المرأة اليابانية لزوجها:

بلغنا عن اليابانيين وفاء المرأة للرجل، وتفانيها في خدمته واحترامه، وربما هذا الأمر ولّى إلى غير رجعة، حين تغربت المرأة اليابانية وقلدت

المرأة الغربية، وأصبح عندهم حركات تحرير المرأة كما عندنا، ولكن قد يكون مما شذ في هذا الخصوص، أن الأمير الياباني الذي افتتح المؤتمر كانت زوجه تمشي خلفه وكان واضحاً احترامها له. ومن بقايا التصور الياباني عن خضوع المرأة للرجل أنني حين وجدت اسمي قد سقط من البرنامج، فتحدثت إلى أحد المسؤولين، فقال لي: إن رئيسة الجلسة امرأة وهي سوف تدرجك في الجلسة. وكرر العبارة أكثر من مرة، فتعجبت هل هذا فقط لأنها امرأة؟ وتذكرت المرأة العربية المسلمة التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم حق إعطاء اللجوء السياسي أو إعطاء الأمان بمصطلح ذلك الزمن لعدو للدولة، وهي أم هانئ حين قال صلى الله عليه وسلم: (أجرنا من أجرت يا أم هانئ)، وها هو الياباني يسخر من أن تكون رئيسة الجلسة امرأة.





أخبار العالم من اليابان

شاهدت خلال فترة وجودي في اليابان (٢٤-٣٠مارس ٢٠٠٤م) قناة السي إن إن الإخبارية، فوجدت قضيتين مهمتين تشغلان بال الأمريكيين: إحداهما الرجل الذي قرر أن يزيل الأجهزة الطبية عن زوجته التي تدعى السيدة شايفو schivo، وكانت قد تعرضت لحادث أو خطأ طبي، وهي في المستشفى مدة ستة عشر عاماً، والزوج قدم طلباً إلى إحدى المحاكم ليسمح له بإزالة الأجهزة الطبية، المهم أن التلفزيون الأمريكي (العظيم!) جعلها القصة الأولى، وكأن روح الأمريكية التي صعدت إلى بارئها بعد تسعة أيام من إزالة الأجهزة هذه أهم من أرواح الألوف الذين تحصدهم الأسلحة الأمريكية بأيدي الأمريكيين أو عملاء الأمريكيين أو أتباع الأمريكيين؟

أما القصة الأخرى فكانت اتهام مايكل جاكسون بالتحرش الجنسي بأحد الأطفال، وقرر القاضي أن يسمح للمحلفين بأن يستمعوا إلى شهادة بعض من تقدموا بشكوى في السابق، وحصل بعضهم على ملايين

من مايكل، ليتنازلوا عن القضية، مما يعني أن جاكسون قد يكون مذنباً، وقال أحد العاملين في قصر جاكسون: إنه شاهد جاكسون يمارس الجنس بوضعية خاصة مع أحد الأطفال، وقالت واحدة ممن سئلوا عن الموضوع: «لا دخان بغير نار». وبالرغم من أن جاكسون قد حصل على البراءة من قبل فقد يحصل عليها مرة أخرى، وهذه هي عدالة الغرب التي برأت ساحة أو جي سمسون في قضية قتله لطليقته.

زرت منطقة (أوكاشي ماشي) وهي سوق شعبية لبيع الأسماك والمواد الغذائية والملبوسات، وهي أشبه بالحراج، فكلٌّ يصيح على بضاعته، ولديهم من الأسماك ما يجعلك تسبح الخالق سبحانه وتعالى على كثرة المخلوقات البحرية، التي سماها القرآن (لحماً طرياً). وفي السوق مجال للمساومة إلى حد ما، فقد ساومت بائعة تبيع العطور ولا أدري هل هي مثل بعض محلاتنا التي تبيع العطور المزيفة وتسكت عنها وزارة التجارة؟!! فبدلاً من أن تطلب من شركات العطور الاقتصاد في الإعلانات وفي الأرباح تسكت عن بيع المزيف ليستطيع المساكين أن يشتروها. وفي هذه السوق وبالقرب منه متاجر لبيع العطارة والأعشاب والخردوات، وبالقرب من (أوكاشي ماشي) بحيرة وحولها سوق حراج لاحظت وجود بعض اليابانيين القدامى يحتفظون بشواربهم، وكأن الشوارب أصبحت موضة عتيقة. أما الخردوات فحدث ولا حرج.

والسوق الأخرى التي زرتها هي (شوبويا)، وتنتشر فيها الأسواق الكبيرة، وهو مكان تجمع الشباب وبخاصة في عطلة نهاية الأسبوع، ولذلك تنتشر سيارات الشرطة في هذا المكان. وهو المكان الوحيد الذي وجدت

فيه إشارة إلى مقر الشرطة، أما باقي الأماكن فاليابان هادئة جداً وآمنة ومطمئنة، ولا يكثر الحديد على أبواب المتاجر، بل ربما لا يوجد الحديد على معظم المتاجر، إن لم يكن كلها، ولا ترى فيها حواجز أسمنتية أو غيرها.

واليابانيون مغرمون بألعاب (الفلبرز) فبين محل (فلبرز) وآخر محل ثالث، وتمتاز بالموسيقى الصاخبة، ويصاحب الموسيقى شخص يصيح عليهم ولا أدري ما يقول، ولكن تخيلت أنه يقول لهم: لا تتوقفوا عن اللعب، نريد أموالكم، واستمروا في اللعب أيها المتعبون المنهوكون من الحياة اليومية، هذه فرصتكم لتنسوا حياتكم وهمومكم هنا، وعرفت فيما بعد أن هذه الألعاب تلعب قماراً ولكن بطريقة غير مشروعة – لا تسمح بها الحكومة –، ومع ذلك فهي موجودة وعلانية.

ومن المناظر المألوفة في اليابان الألعاب الإلكترونية، سواء الخاصة أو الموجودة في أجهزة الهاتف النقال، فما أن يصعد أحدهم القطار حتى يستل لعبته ويبدأ حتى يصل القطار إلى وجهته، وأحياناً يكون اللعب في أثناء السير، ولكن كيف يرى الطريق والشاشة معاً لا أدري؟

عُرِفَ عن اليابانيين أنهم قصار القامة، وقد كانوا يشبّهون بالترانزستور، ولكنهم أخذوا يزدادون طولاً -لاحظت هذا في رحلتي الثانية- فأكدت لي المرافقة أن الأمر صحيح، وقد أصاب الأمريكيون الأمر نفسه، وقيل: إنه تحسن في الغذاء والحياة عموماً.

لفت انتباهي تنوع السيارات اليابانية، التي لا يصلنا منها إلاّ أنواع محدودة، وسيارات التاكسي في معظمها من شركة تايوتا ونوع الكراون

كمفرت، والكراون من أنواع الداتسون عندنا، ولاحظت أن السيارات متينة وواسعة، وعرفت فيما بعد أن لديهم نوعين: الواسع والمتوسط، ولكل أجرة. وتساءلت: لماذا تأتينا السيارات اليابانية رقيقة الهيكل (تنك) تضربه باليد فينثني؟! ألا يخاف المستوردون أو المسؤولون في وزارات التجارة من وقوفهم بين يدي الخالق سبحانه وتعالى حينما يسألهم عن الأرواح التي ماتت بسبب المواصفات التعيسة التي تصلنا؟ لقد اشتريت سيارة موديل ٢٠٠٤ وفيها كيس هوائي للسائق، أما الذي بجواره فليس له كيس، أليس هذا خطأ في حق المواطن السعودي حين تكون المواصفات أقل من المواصفات التي تذهب إلى أوروبا وأمريكا؟!



مؤتمر الأديان في اليابان (٣)

كنت في صفحات سابقة تحدثت عن المؤتمر الدولي التاسع عشر لتاريخ الأديان، وأعود للحديث عن هذا المؤتمر، فقد كان من أبرز أحداثه بعض الكلمات الافتتاحية التي يختار لها متحدثون لهم شهرة معينة أو إنجاز علمي بارز، وكان العالم الذي اختير للحديث في الجلسة الافتتاحية طلال أسد بن محمد أسد النمساوي اليهودي الذي أسلم وكان اسمه ليوبولد فايس. وكانت كلمة طلال أسد حول الحركات الإسلامية في العالم العربي وفي مصر خصوصاً، وأسباب ظهور هذه الحركات. وقد أطال من قدمه في الحديث عنه، وأكد أن تقديم طلال أسد شرف كبير له، وأشاد بإنجازاته.

وقد قابلت العديد من الباحثين ومن هؤلاء الباحث الأمريكي المتخصص في الإسلام (بنيت لورانس) أستاذ الأديان في جامعة ديوك، وقد كنت تعرفت عليه في جدة حين استضافته القنصلية الأمريكية ليتحدث عن تدريس الإسلام في أمريكا، وليقوم بالدعاية لأقسام دراسات الأديان في الجامعات الأمريكية، ويصفها بأنها منصفة،

وتعرض الإسلام عرضاً جيداً؛ بل قال عن نفسه: إنه في الطريق بين الإسلام والنصرانية، وقد بدا لي أنه كثير الحديث، وأنه يدافع عن الإسلام أو الحركات الإسلامية، ولكنه مثل جون اسبوزيتو يرى أن الإسلام ليس واحداً، بل تكوَّن لدي إحساس أنه يتكسب من هذه المعرفة بالإسلام والتلطف مع المسلمين، بينما هو في الحقيقة قد يكون شخصاً آخر، ووجدته يصطحب معه باحثاً من أصل آسيوي، ويبدي إعجابه بعدد من الباحثين العرب والمسلمين، الذين اتخذوا النهج الاستشراقي القديم والحديث، فيذكر بكل إعجاب وثقة ما قاله محمد أركون أو عزيز العظمة، وعبد الله العروي، وهؤلاء الكتاب نالوا شهرة كبيرة عند المستشرقين، وعندما يستشهد بعض الباحثين الغربيين بهؤلاء، فكأنهم يتفضلون علينا، ويتنازلون حين يقبلون ما نقول، ويستشهدون به.

وفي زيارتي لهولندا اجتمعت مع زملاء نصر حامد أبو زيد في جامعة ليدن -وهو الآن قد أمضى عشر سنوات ونصف تقريباً -لقيته في هولندا عام ١٩٩٦م، وكان في بداية هروبه من مصر- فعرفت ممن يعرف المشهد الأكاديمي السويدي أن أبا زيد لا يلقى أي احترام، بل هم يستخدمونه لأغراض معينة، وهو يعرف لِمَ استضافوه، وأفسحوا له المجال، فلو قرر التوبة عمّا هو فيه لما بقي من داع لإبقائه عندهم.

المهم هذا الباحث الغربي قدمني لبعض أصدقائه: أنني من أكثر العرب والمسلمين فهماً للغرب، وأنني كتبت عن أمريكا كتاباً أهدف فيه إلى هزيمة أمريكا وليس تدميرها. وهو لا يعرف ما في الكتاب ولكن ليقل ما شاء!!

من الندوات التي حضرتها ندوة بعنوان: (العرب والمسلمون والآخر) تحدث فيها أربعة من بني اليابان: تناول أحدهم نشأة القومية العربية والدوافع التي قادت إلى نشأتها، ومن ذلك ظهور القومية التركية الطورانية، وتأثر بعض أبناء العرب والمسلمين بالغرب ونشوء القوميات فيه. وقد توقف الباحث عن الحديث قبل ظهور جمال عبد الناصر ونزعة القومية المرضية، التي فرقت بين أبناء الأمة الإسلامية، فالعرب ليسوا أمة بين الناس، ولكن المسلمين هم الأمة التي وصفها الله عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾. وكانت لغته العربية رائعة، مما يدل على أن الأعاجم قد يتقنون اللغة العربية، بل يصل بعضهم إلى مستوى أفضل من أبناء العرب أنفسهم، وكم شاهدت من أساتذة جامعات عربية وسعودية على وجه الخصوص لا يحسنون اللغة العربية.

وقد ذكر لي والدي رحمه الله أن الشيخ أبا الحسن الندوي رحمه الله كان عضواً في مجلس أمناء الجامعة الإسلامية -حينما كان لكل جامعة مجلس أمناء، يُختارون من الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي، فقال الشيخ الندوي: «أنا أعجمي جئت من بلد الأعاجم، وإن كنت أنتسب إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، وها أنا ذا أتحدث إليكم وأخطب فيكم بلسان عربي مبين، فهذه عظمة الإسلام الذي جمع بيننا تحت لواء هذا الدين العظيم، وجعلني أخاطبكم بلسانكم».

وتأكدت أن الرؤية العربية للغرب قد تقاربت بين هؤلاء جميعاً، سواء العلمانيين المتغربين أو سيد قطب رحمه الله بأن الغرب يتسم بالمادية الطاغية. وقد تعجبت من هذا التلاقي بين سيد قطب وهؤلاء.

وكان لي لقاء مع مندوب دار بريل -وهي دار نشر ومكتبة تأسست في مدينة ليدن منذ أربعة قرون تقريباً- فسألته عن أي كتب تتحدث عن الغرب بأسلوب علمي موضوعي، فأشار عليَّ بمراسلة شخص هولندي هو أولا كونداجن Ola F. Koendgen وأعطاني عنوانه الإلكتروني، ولعلي أراسله فربما كانت فرصة للقائه وأنا في ليدن.

وفي ردهات المؤتمر قابلت شاباً من إسرائيل، فسألته: كم عددكم في هذا المؤتمر؟ قال: ثلاثة، اثنان سيقدمان بحثين، قلت له: عجيب أنكم لستم كثيرين، قال المسافة بعيدة والتكاليف عالية، قلت: غير اليهود يمكن أن يقول هذا، فأنتم تملكون أموال العالم. ففي مؤتمر في ألمانيا حضر أكثر من أربعين من الجامعات الإسرائيلية، فأعاد عليَّ بأن ألمانيا قريبة. وتحدثنا عن السلام بين الفلسطينيين والمحتلين اليهود، وقلت لهم: كيف تزعمون أنكم تريدون السلام، وما زالت مستعمراتكم التي تسمونها المستوطنات مزروعة في أنحاء الضفة الغربية كافة؟ فكيف يكون للفلسطينيين دولتهم، وها أنتم تحاربون كل محاولة حقيقية للسلام؟ فقال: إن رأي اليهود الغالب ضد المستعمرات ومع السلام، ولكن الحكومة لا تأخذ برأي الشعب. وأضفت: إنكم قد انتخبتم شارون وهو من هو في العنف والجريمة، فقال: إنه فاز بغالبية ضئيلة.

وتحدث أستاذ آخر عن صورة الغربي والأمريكي بالذات في الرواية العربية، فذكر مذكرات توفيق الحكيم (عصفور من الشرق) ويوسف إدريس في كتابه (نيويورك ١٩٨٠)، وعبد الرحمن المنيف في روايته (مدن الملح)، وسيد قطب في كتابه (أمريكا التي رأيت)، ومن

العجيب أن التقت نظرة هؤلاء على مادية الغرب وانحلاله الأخلاقي، وهو أمر لم أكن أتوقعه من كتاب أعجبوا بالغرب وانبهروا به. وإن كان سيد قطب رحمه الله قد رأى ببعد نظر وفكر ثاقب أن قيادة البشرية يجب أن تؤول إلى الإسلام؛ لأن فيه الحل الحقيقي لمشكلات البشرية السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية، بينما كان للآخرين نظرتهم الاشتراكية أو العلمانية أو الليبرالية الغربية على الرغم من انتقادهم للغرب.



الرحلة الثانية إلى اليابان
عندما يكون الرزق ليس مالاً فقط

كنت أستمع إلى الشيخ علي طنطاوي -رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته- يتحدث عن الرزق، فقال: ليس كل الرزق أن يكون مالاً، فقد يأتيك الرزق في أشكال أخرى، وذكر بعضها. وقد يحدث أحياناً أن تعمل عملاً فتنتظر بضعة ريالات بعده فلا يأتيك شيء، ولا تدري ما خبأ القدر لك. ومن هذا الرزق الذي أحمد الله عز وجل عليه أن وجهت إليّ المؤسسة اليابانية (Japan Foundation) دعوة لزيارة اليابان مدة أسبوعين، لا تزيد يوماً وإن نقصت فلا بأس؛ وذلك لزيارة اليابان والتعرف إلى الدراسات الأوروبية والأمريكية ودراسات الشرق الأوسط في جامعاتها، والتعرف على المجتمع الياباني والثقافة اليابانية، والتعرف على معالم اليابان السياحية. وأكرمني الله عز وجل بحصولي على التفرغ العلمي من جامعة الملك سعود بعد انتظار دام أكثر من عشر سنوات (حصلت على الدكتوراه في ١٥/٦/١٤١٥هـ) والتفرغ كان لعام ١٤٢٧/١٤٢٨هـ. والتفرغ العلمي عادة بعد كل خمس سنوات.

عندما انتقلت إلى جامعة الملك سعود وفي سنة التفرغ هذه جاء الرزق في صورة دعوات إلى عدة دول، أولها اليابان ثم السويد والثالثة إلى الكويت، ولا أدري إلى أين تكون الرابعة والخامسة وغيرها؟ فكيف جاءت الدعوة من اليابان؟

قبل سنوات استضاف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ندوة عن الثقافة العربية والإسلامية في اليابان، وشاء الله أن أكون مدير تلك الندوة، وبعد مدة تقدمت إلى مركز الملك فيصل بمشروع أطلقت عليه (مشروع إنشاء أقسام الدراسات الإقليمية ومراكز البحوث في الجامعات السعودية). وقدمت في المشروع ثمانية نماذج من دول العالم المختلفة للدراسات الإقليمية، وكانت اليابان إحداها، حيث تناولت الدراسات الأوروبية والأمريكية في اليابان. وسعيت لمقابلة بعض كبار الأساتذة اليابانيين حول الموضوع، وشاء الله أن يأتي وفد ياباني إلى المملكة برئاسة البروفيسور يامائوشي من كلية الدراسات العليا في جامعة طوكيو، فطلبت أن أقابله، وبالفعل تم اللقاء في فندق الفيصلية، وجاءت مناسبة ثالثة أن حضر وفد من اليابان ليتحدث عن التجربة اليابانية في المحافظة على القيم والتقاليد في اليابان مع الأخذ بالتحديث والتطور، وكنت مديراً لتلك الندوة.

وفي مناسبة أخرى، حضر البروفيسور يامائوتشي على رأس وفد لندوة الحوار العربي الياباني، وأراد التلفزيون السعودي إجراء حوار معه باللغة الإنجليزية، وكلفت أن أقوم بذلك الدور، ولم يشعرني التلفزيون أن الحوار قد عُرض ولم أعط نسخة منه، أما المكافأة فكيف يعطونني



مكافأة؟!! فأنا الذي يجب أن أدفع لهم؛ لأنهم مكنوني من الظهور في تلفازهم!!

أرأيتم منطقاً معكوساً أكثر من هذا؟! والله لا يجرؤون على أن يذيعوا أغنية دون أن يعطى المطرب ما يريد من مال، أما أن يطلب من أستاذ جامعي أن يقوم بإجراء حوار فهم أصحاب المنّة والفضل.

واهتمت السفارة اليابانية والمؤسسة اليابانية فيما علمت بمشروعي، وقاموا بترجمة الجزء الخاص باليابان إلى اليابانية والإنجليزية، وهنا بدأت الاتصالات الفعلية بيني وبينهم، لترتيب زيارة لي إلى اليابان على حساب المؤسسة اليابانية، والجهات التي أريد زيارتها، والأشخاص الذين أود مقابلتهم، وكنت قد تعرفت على أحد الباحثين اليابانيين النشطين وهو ساتو ناكامورا الأستاذ بجامعة كوبيه والمتخصص بالمملكة العربية السعودية، والمهتم جداً بتوثيق العلاقات الثقافية بين اليابان والمملكة، فساعد كثيراً على إعداد البرنامج، واقتراح جهات لزيارتها، وكذلك الاقتراح عليَّ بتقديم بعض المحاضرات. وقد أخبرني أن تقديم المحاضرات ليس أصلاً في برنامج المؤسسة اليابانية، وإنما هو تفضل وكرم من الضيف أن يوافق على إلقاء المحاضرات.

ولم تكن المؤسسة اليابانية غريبة عليَّ فقد قمت بزيارة مكتبهم في طوكيو في شهر مارس عام ٢٠٠٤م، عندما حضرت المؤتمر الدولي التاسع عشر للرابطة العالمية لتاريخ الأديان، حيث تم تبادل الأحاديث عن التبادل الثقافي مع المملكة وبرامج الزيارات بين الباحثين السعوديين واليابانيين.

وتم تبادل المراسلات لتحديد موعد الزيارة إلى اليابان على أن تتم قبل نهاية شهر مارس ٢٠٠٧م، حيث إن ميزانية اليابان تبدأ من شهر أبريل من كل عام، وأراد الله أن أكون في بريطانيا في صيف العام الماضي، لقضاء بعض الوقت في جامعة إكستر، وحضور المؤتمر السنوي للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، وما إن رجعت بنهاية الصيف كان ينتظرني مؤتمر في بداية شهر سبتمبر في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وبعد العودة من ماليزيا سيبدأ رمضان، وبعد رمضان، بقليل سأشارك في المؤتمر الذي يعقده مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف عن القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، وبعد الانتهاء من كل تلك الارتباطات أبدأ في زيارة اليابان.

وتضمنت الدعوة تكفل المؤسسة اليابانية بتذكرة على درجة الأفق بنحو أربعة آلاف دولار أمريكي والإقامة، بالإضافة إلى مبلغ لتغطية مصروفاتي اليومية. وكان من المناسب أن أصطحب معي زوجتي وهاشم (أصغر ضيف للمؤسسة اليابانية في تاريخها (سنتين تقريباً)، فكانت قيمة التذكرة تكفي لتغطية تذاكرنا الثلاث مع زيادة قليلة.

دعاني السفير الياباني إلى طعام الغداء في منزله قبل سفري وهو صديق للبروفيسور ياماأوتشي. وكان لقاءً لطيفاً تعرفت على كثير من الأمور التي أحببت أن أعرفها قبل سفري، كما كانت فرصة له وهو ممثل اليابان أن يتعرف على من سيكون خلال أيام ضيف حكومته. وهكذا يكون السفراء. وقد مرت معي تجارب مع بعض سفرائنا أزعجتني حقاً، ولكن ليس كل ما يعلم يقال. وهكذا تم ترتيب هذه الزيارة، وكان

هذا الرزق، فرحم الله الشيخ علي الطنطاوي رحمة واسعة، وكم يمكن للإنسان أن يتعلم من حديث تلفزيوني أو إذاعي؟ ولو أن الإعلام في الغالب أصبح لغير هذه الأمور ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.



الرفيق قبل الطريق- ثماني ساعات أو ثماني دقائق

تفاوضت مع المؤسسة اليابانية على أن أصطحب زوجي وابني هاشم في هذه الرحلة، فكان شرطهم ألا يكون في هذا الأمر تعطيل لي عن برنامج الزيارة، وأن عليَّ أن أتحمل تكاليف تذاكرهم إلى اليابان وتذكرة الرحلة إلى كيوتو وهيروشيما فوافقت. والحقيقة أن خديجة متفهمة لطبيعة عملي، فقد حضرت معي العديد من المؤتمرات، فقبل أن يرزقنا الله بهاشم كانت تحضر الجلسات معي، وكانت تساعدني على تفهم رد فعل الحاضرين لما أقول ولتعليقاتي، وقد كانت متابعتها ممتازة في تلك المؤتمرات التي حضرتها معي. وعندما رزقنا بهاشم صار من الصعب أن تحضر الجلسات؛ لأنه قد يحدث ضجة في القاعة، مع أني رأيت نساءً يحملن أطفالهن إلى بعض المؤتمرات، وفي بعض المؤتمرات يوفرون حضانة في أيام المؤتمر.

وفي ماليزيا كانت فرصة لخديجة للتعرف على كوالالمبور أكثر مني، حيث أخذت خريطة المدينة، وعرفت المواصلات العامة التي توصل إلى

الأماكن المختلفة، فكنت أذهب لحضور الجلسات، وكانت تنطلق لمشاهدة معالم المدينة والملاهي والحدائق العامة. وقد استمتع هاشم برفقة أمه إلى أماكن كثيرة لا يتوافر مثلها في المملكة. ويفتخر الماليزيون مثلاً بالمحافظة على المساحة الخضراء، وفي كل مدن العالم تقريباً يتم إنشاء حديقة في وسط المدينة تكون كالرئة لتلك المدينة. ومن العجيب أنهم أنشأوا حديقة في المدينة خارجها في الطريق الدائري الثاني، وسميت الحديقة المركزية، والأولى أسموها الحديقة المتطرفة أو الطرفية.

اخترنا شركة كاثي باسفيك من هونج كونج لتنقلنا إلى طوكيو عن طريق هونج كونج ومدة الرحلة إلى هونج كونج بنحو ثماني ساعات. فدخلنا صالة السفر في مطار الرياض، ولم نجد متجراً واحداً فليس في المطار سوى أكشاك القهوة والشاي وبعض الأكل الخفيف. ومن العجيب أن مطار الرياض يمكن أن يكون المطار الوحيد في العالم الذي ليس فيه متاجر. ولا أدري ما السبب؟ ليس في مساحة المطار أي ضيق والمسافر ربما نسي شيئاً فيريد شراءه من المطار أو يتذكر عزيزاً يريد أن يشتري له هدية فيجد المطار خاوياً من المتاجر. ولكن لهذا الأمر حسنة واحدة: أنه يساعدك على عدم الشراء، وخصوصاً أن المسافر يحب الشراء عادة.

أقلعت الطائرة (يردد هاشم الطائرة تقلع) في موعدها على الساعة الثانية عشرة والنصف من مطار الرياض، وبعد قليل قدموا وجبة جيدة، ثم أخلدنا إلى النوم ولم تمض ساعة أو قليل فإذ بنا نرى الفجر الذي كنا سنراه في الرياض بعد أربع ساعات يصل بسرعة كبيرة. وكان هاشم يحب أن يمشي في الطائرة، لأنه من الصعب أن تحبس طفلاً

عمره سنتان في مكان واحد عدة ساعات، فكنت أمشي معه في ممرات الطائرة، لأن هذا مما ينصح به الأطباء، وتسلية لهاشم الصغير.

لقد سافرت كثيراً وكانت بعض الرحلات طويلة مثل رحلة نيويورك من جدة التي تستمر ثلاث عشرة ساعة، وكنت أجد بعض الملل إن لم يكن معك رفيق تقطع معه المسافة بالحديث والأنس، ولكن هذه الرحلة كانت كأنها ثماني دقائق وليست ثماني ساعات. فشكراً للرفقة الطيبة من خديجة وهاشم.

وصلنا مطار هونج كونج الذي بناه الإنجليز قبل مغادرتهم الجزيرة إلى غير رجعة! وقال لنا سائق من أصل أفغاني: إن الإنجليز بنوه ليستفيدوا من الأموال الضخمة التي كسبتها شركات المقاولات الإنجليزية والمعدات والأدوات التي اشتريت من بريطانيا، فقد يكون الكلام صحيحاً، ولكن ليس مستغرباً على العقليات الاستعمارية. وقد شاهدت بقايا الإنجليز في زيارتي لهونج كونج في العودة من اليابان.

وأقلعت الرحلة الموصلة إلى طوكيو في موعدها، وما هي إلاّ ثلاث ساعات حتى كنّا في مطار ناريتا، ووجدنا المرافقة التي كلفتها المؤسسة بمرافقتنا تتعرف علينا. وكان اسمها تاكاكاو شيموزو تعمل مترجمة في رابطة الضيافة الدولية وخدمات المؤتمرات، ولهذه المؤسسة علاقة بوزارة الخارجية اليابانية. وهي امرأة كبيرة في السن قامت بمرافقة العديد من ضيوف المؤسسة اليابانية، ولها تجارب مع الوفود. وبعد أن قامت بمرافقتنا أكثر من سبعة أيام من الرحلة التي امتدت أسبوعين صرحت لي بأن بعض من يأتي من الشرق الأوسط أو العرب لا يحترم

الوقت، وقد صرحت بذلك بعد أن رأت أننا في عشرات المواعيد كنا نأتي قبلها أو تأتي هي قبل الموعد بخمس أو عشر دقائق. أما نحن فقد كان التزامنا أضبط من الساعة السويسري أو الياباني.

لم يتدخل أحد لتسريع مرورنا من الجوازات، فليس ثمة حاجة لذلك، وخرجنا من المطار في سيارة أجرة، والمسافة بين المطار ومدينة طوكيو تزيد على ستين كيلو متراً. ووصلنا الفندق وكانت الساعة تقترب من التاسعة مساءً، فوجدنا الموظفة المسؤولة عن برنامجي السيدة موتسومي واكاهاماMutsumi Wakahama عن برنامجي تنتظرنا في الفندق لترحب بنا، وتسألنا عن الرحلة وتذكرني بالموعد في اليوم التالي.

وبعد أن ارتحنا قليلاً في الفندق خرجت إلى متجر قريب لشراء بعض الحليب وأشياء أخرى، ثم رأيت بريدي الإلكتروني وموقع ابن الإسلام، فوجدت أن الأستاذ بشير نعمان –المشرف على الموقع- يطالبني بتقرير عن رحلة اليابان. وكأنه يريد أن يرد لي ما سبق أن طلبته منه أن يكتب تقريراً عن مؤتمر المدينة المنورة. وهو يعرف أنه لا يحرجني، وليس الأمر صعباً عليَّ فما أكثر تقارير المؤتمرات التي قمت بكتابتها، ولكني أردت له فقط أن يتدرب على كتابة تقارير المؤتمرات.

وعلى الساعة العاشرة والنصف من اليوم التالي كان موعدي مع المسؤولين في المؤسسة اليابانية لمناقشة برنامج الزيارة والمواعيد التي تم تنظيمها والمواعيد التي لا تزال، وإتمام بعض الإجراءات المالية.

وأجد من المناسب هنا أن أعرّف بالمؤسسة اليابانية Japan Foundation فقد تأسست عام ١٩٧٢م، ومهمتها تشجيع التبادل الثقافي بين اليابان والشعوب الأخرى، وتعتمد أساساً على تمويل من الحكومة اليابانية، حتى أصبحت مؤسسة عامة مستقلة، لها دعمها الحكومي، وما يأتيها من دعم من القطاع الخاص (كم أرباح البنوك عندنا؟ وأين دعمهم للثقافة؟) بالإضافة إلى استمرار الدعم الحكومي الذي يبلغ أحد عشر مليار ين سنوياً.

وتنشط المؤسسة داخل اليابان وخارجها، ولها فروع رئيسة في طوكيو وكيوتو، يبلغ عدد مكاتبها ثمانية عشر مكتباً، وقد افتتحت المؤسسة عدة فروع لها في الخارج منها فرع في القاهرة. ومن اهتمامات المؤسسة نشر الثقافة اليابانية واللغة اليابانية. وتقدم المؤسسة دعماً للباحثين اليابانيين لدراسة الشعوب الأخرى (الذين سجلوا رسائل ماجستير ودكتوراه حول الشعوب الأخرى، وقد قدموا دعماً لأكثر من خمسة أو ستة في المملكة، كما أن السفارة اليابانية أحياناً تقدم وظائف لطلاب الدكتوراه، فيعملون في السفارة، ويبحثون في الوقت نفسه).

تعرفت على هذه المؤسسة قبل ثلاثة أعوام، حين جاء إلى مركز الملك فيصل أحد الباحثين بتمويل من المؤسسة، ومازال يطالب بأن يتوجه باحثون من السعودية للتحدث إلى اليابانيين حول المملكة.

وفي هذا اليوم كان لي لقاء كريم مع السفير السعودي في اليابان الأستاذ فيصل طراد الذي استقبلني استقبالاً جميلاً، وشكا من أن كثيراً من الباحثين أو الضيوف يصلون إلى اليابان، ولا يفكرون أن

يزوروا السفارة. وتحدثنا عن إعداد السفراء والعاملين في السفارات، وكيف أن الجامعات الغربية لديها برامج لهذا الغرض، ومنها على سبيل المثال (معهد إدموند ولش للخدمات الخارجية بجامعة جورج تاون)، وذكر أن وزارة الخارجية في السعودية بحاجة حقيقية لبرامج لتأهيل السفراء، ومن أهم مواصفات السفراء أن يتقنوا لغات أجنبية وخصوصاً اللغة الإنجليزية -علمت أن بعض السفراء عملوا في أوروبا وهم لا يتقنون الإنجليزية، وفي وفود المملكة إلى الأمم المتحدة من لا يتقن اللغة الإنجليزية. حتى لو كانت هناك ترجمة فورية للخطابات، لكن اللقاءات الجانبية لا يمكن أن يصطحب كل عضو معه مترجم- وقد ذكرت للسفير كيف أن الخطوط السعودية كان لديها برنامج متميز لإعداد العاملين مديري محطات أو مديرين إقليميين، حيث ركزوا على اللغة وعلى الاقتصاد وخصوصاً اقتصاديات الطيران وأمور أخرى. فهل تتنبه وزارة الخارجية لدينا لعمل برامج من هذا النوع، والله الموفق.



أستاذ سعودي يحاضر في جامعة يابانية

في الساعة الخامسة والنصف مساءً انطلقت إلى جامعة كوكوجاكوين Kukugakuin التي تقع في وسط طوكيو، وما إن دخلت الجامعة حتى طلبت دليلاً للجامعة باللغة الإنجليزية، فأُعطِيتُ دليلاً للجامعة صادرًا عام ٢٠٠٢م، واسم هذه الجامعة يعني حرفياً «الأكاديمية الجامعية لدراسة الجوهر القومي». وقد انطلقت الجامعة من معهد سابق لدراسة الكلاسيكيات الإمبريالية عام ١٨٨٢م، وكان رئيسها الأول الأمير أريسوجاوا تاكاهيتو Arisugawa Takahito، التي تحولت في عهده إلى جامعة عام ١٨٩٠، وكانت هذه المرحلة مرحلة تغير رأسي، فقد كانت المحاولات جارية لتحديث الأمة بنشر العلوم الغربية والتقنية، وقد انتشر التغريب في المجالات الثقافية والاجتماعية، وقد أثار هذا الأمر الاهتمام الجاد لدى بعض قادة الرأي اليابانيين، حيث أدركوا التهديد الذي يمثله الغرب للمجتمع الياباني التقليدي وثقافته. -هل ندرك نحن هذا التهديد، فنوسع جامعاتنا حتى تستوعب الأعداد المتزايدة من الطلاب بدلاً من الابتعاث ومخاطره وخصوصاً على الطلاب قبل سن العشرين؟

واستجابت الجامعة لهذه التغيرات، فركزت الدراسة والبحث في مجالي التربية وأسس التقاليد اليابانية، وكان الهدف الرئيس من الجامعة هو توضيح التقاليد القومية، وكان من أبرز التخصصات الأدب الياباني والتاريخ والشينتو -معتقدات اليابان الدينية-، وعمل ثلاثة أرباع الخريجين معلمين للأدب الياباني والتاريخ.

وبعد الخمسينيات من القرن الماضي، بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية جعلهم يعملون استجابة لمتطلبات الديمقراطية، والطلب المتزايد على التعليم العالي على إضافة كليات جديدة للجامعة، ومنها كليات الاقتصاد والقانون، واليوم (٢٠٠٢م) تواجه الجامعة قضية العولمة وانتشار تقنية المعلومات الحاسوبية، وهذا قاد الجامعة لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين بتأسيس أول كلية لدراسة الشنتو في أبريل ٢٠٠٢م، (مواجهة العولمة بمزيد من دراسة الإسلام لا الخجل منه!!) لتكون أكبر معهد لمثل هذه الدراسات، وقد اختارت وزارة التعليم والعلوم والثقافة هذه الكلية كواحد من المراكز القليلة بصفته مركزاً متميزاً.

وقد لاحظت في تطور الجامعة أنها أضافت دراسات مسائية عام ١٩٤٩م، حيث قدمت كلية الآداب برامج مسائية في دراسات العلوم السياسية، وأعيد تسمية كلية العلوم السياسية إلى كلية السياسات والاقتصاد، وفي عام ٢٠٠١م أدخلت كلية السياسات والاقتصاد برنامج المحاضرات المسائية.

أما العلاقات مع العالم الخارجي فقد أنشئ مركز التبادل الثقافي للبحوث والعلماء الزائرين (أين برامج الأساتذة الزائرين في الجامعات السعودية؟).

وفي عام ١٩٩٦م قامت كلية الآداب بتأسيس أقسام لدراسة الآداب اليابانية والصينية واللغات الأجنبية، ودراسة الثقافات، وقامت كلية الاقتصاد بتأسيس قسم للاتصالات الصناعية والمجتمعات الاستهلاكية.

أما محاضرتي في هذه الجامعة فقد بدأت بتقديم البروفيسور ناكامورا لي بطريقة متميزة، حيث رجع إلى موقعي في الإنترنت واستخرج ترجمة وافية وعرّف بالموقع تعريفاً جيداً، وكانت المحاضرة بعنوان: (الاهتمام السعودي بالاستشراق والاستغراب)، وبدأت المحاضرة بشكر المؤسسة اليابانية وكذلك جامعة كوكوجاكوين على استضافتها لي، وكان ملخص تلك المحاضرة ما يأتي:

بدأ الاهتمام بالاستشراق في السعودية منذ وقت مبكر، وقد قسمت هذا الاهتمام إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: الاطلاع على المطبوعات القادمة من مصر وسوريا ولبنان والعراق والجزائر وتونس وغيرها من البلاد العربية الإسلامية، وقد حملت هذه المطبوعات الكثير من الكتابات حول الاستشراق. وقد راجعت فهارس مجلة (الرسالة) على سبيل المثال، فوجدت عشرات المقالات والبحوث التي تتناول الاستشراق -وهذا قبل أن يكون لدينا صحافة-. في هذه الفترة أيضاً وصلت إلينا بعض المناظرات التي دارت بين جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده مع عدد من المستشرقين الفرنسيين بصفة خاصة. وسبب اهتمام تلك الدول العربية بالاستشراق أنها ابتليت بالاحتلال الأجنبي الذي قام بجهد كبير -غير مشكور-

لتغريب التعليم في البلاد العربية واختيار عدد من أبناء الأمة ليربيهم على عينه، بإنشاء كلية فيكتوريا في مصر، والكلية الأمريكية في بيروت، والمدارس الفرنسية المختلفة، والمدارس التنصيرية في لبنان وسوريا ومصر، وفي هذه المرحلة أيضاً وصلتنا كتب مهمة مثل كتاب عباس محمود العقاد رحمه الله (ماذا يقال عن الإسلام).

ولعل من أبرز رواد دراسة الاستشراق في هذه المرحلة الشيخ الدكتور المجاهد مصطفى السباعي رحمه الله، الذي قام بجولة في عدد من الجامعات الغربية، وناقش المستشرقين وعرفهم معرفة عميقة. وقد أصدر كتابه العظيم (السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، ثم كتابه الصغير حجماً الكبير فائدة (الاستشراق ما له وما عليه)، وربما كانت له كتابات كثيرة في مجلة (حضارة الإسلام) التي كان يرأس تحريرها لم تنشر بعد. وقد قام كذلك بعض علماء الأزهر بنشر بعض الكتب في نقد الاستشراق.

وتأثرنا نحن بالاستشراق والفكر الاستشراقي حين نشأت المدارس في المملكة العربية السعودية، فكان أخذنا عن المصريين (وربما كانوا هم الأكثر تأثيراً في مناهجنا) كثيراً من المناهج في العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع وعلم النفس، حتى في الرياضيات فقد درست في المرحلة المتوسطة (١٣٨٣-١٣٨٥هـ/١٩٦٢-١٩٦٥م) في مادة الرياضيات حساب الفوائد، وكنّا نحسب الفائدة البسيطة والفائدة المركبة، ولم يكن أحد يدرك أن هذا هو الربا، ولعل بعضنا ظل متأثراً من تلك الأيام، فلما صار عنده مال أودعه في البنوك ليأخذ الفائدة المركبة.

وعندما نشأت الجامعات السعودية (جامعة الملك سعود ١٣٧٧هـ وجامعة الملك عبد العزيز ١٣٧٧هـ) لم تجد أمامها إلاّ الأساتذة المصريين والعراقيين والسوريين والسودانيين، وكثير منهم درس في الجامعات الغربية وحصلوا على الدرجات العليا من هناك، فجاءنا الفكر الاستشراقي عن طريقهم، واستمر هذا التأثير، حيث إنني التحقت بجامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٤هـ(١٩٧٤م)، فكانت الكتب المقررة متأثرة بالفكر الاستشراقي، ناهيك عن الأساتذة حيث إن أحدهم في نقاش معه طلب مني ألا أخلط العلم بالدين، فواعجباه وواعجباه!!

المرحلة الثانية: انطلقت من المملكة العربية السعودية البعثات العلمية إلى مصر وأوروبا، ففي مصر كان الاحتكاك بالاستشراق بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ففي تلك السنوات كانت الجامعات المصرية تستضيف بعض المستشرقين الذين درسوا في جامعة القاهرة وفي غيرها من الجامعات. أما بعض الطلاب السعوديين فقد درسوا في الجامعة الأمريكية في بيروت، ومن أهم التخصصات التي درسوها هناك التربية، والتربية كما يقولون هي شخصية الأمة، فإذا تنازلت عن منهجها التربوي تنازلت عن شخصيتها وهويتها. ومن العجيب أن بعض كبار المسؤولين والأثرياء أرسلوا أبناءهم إلى كلية فيكتوريا والكلية الأمريكية في بيروت، ولطلاب كلية فيكتوريا رابطة تجمعهم حتى اليوم.

أما الذين ابتعثوا إلى أوروبا وأمريكا في القديم فكان الاهتمام منصباً على العلوم التطبيقية، وليس من المستبعد أنهم احتكوا

بالمستشرقين بطريقة غير مباشرة، ولكننا حين توسعنا في البعثات كان هناك من ذهب لدراسة التاريخ والجغرافيا حتى اللغة العربية وآدابها، كما أن بعض طلاب الدراسات العليا درسوا العلوم الشرعية على أيدي بعض المستشرقين.

المرحلة الثالثة: بدأ الاهتمام بالاستشراق في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية وفي مركز البحوث في الرياض بصفة خاصة، حيث أنشئت وحدة دراسات التنصير والاستشراق وعمل فيها أساتذة كبار أذكر منهم الدكتور قاسم السامرائي والدكتور محمد فتحي عثمان وإبراهيم عكاشة والسيد محمد الشاهد، وقد عملت مساعد باحث (كنت محاضراً) مدة سنة وكان هذا في عام ١٤٠٠هـ، وبعد ثلاث سنوات انطلق قسم الاستشراق وكان القسم الوحيد في العالم الإسلامي الذي يعطي درجتي الماجستير والدكتوراه في دراسات المستشرقين حول الإسلام، ولكن كان من سلبيات هذا القسم عدم الإصرار على تنفيذ شروط القبول ومنها إتقان لغة أجنبية، ولم ينطبق هذا الشرط إلاّ على طلاب المنح. كما أن القسم لم يصر على نوعية الطلاب التي كان ينبغي أن يكون منها أن الطالب عليه أن يعرف خطورة التخصص وأنه يجب أن يجند حياته وفكره وعقله وروحه لهذا التخصص.

زيارة كيوتو *Kyoto*

المدينة التي لم يضربها الجيش الأمريكي

أواصل الحديث في هذه الصفحات عن كيوتو التي كانت المحطة الثانية لهذه الرحلة، حيث أتحدث الآن عن زيارتي لجامعتها وللمعالم الأثرية فيها. كانت وسيلة المواصلات إلى هذه المدينة القطار من طوكيو هو القطار السريع الذي يسمّى الطلقة (الطلقة النارية بالطبع)، أي إنه قطار سريع تتجاوز سرعته الثلاثمائة كيلو متر في الساعة، ولا نامت أعين المتخلفين الذين مازالت قطاراتهم من العصر الحجري. قد استغرق زمن الرحلة ثلاث ساعات تقريباً. وينطلق القطار بتوقيت غريب، فمثلاً التاسعة وتسع وعشرين دقيقة، وأتساءل: لماذا لم يكن وثلاثين دقيقة؟! ولكن هذه القطارات تسير وفقاً لبرنامج زمني، ولا بد من مراعاة التوقيت بدقة، وإلاّ حدث ما لا تحمد عقباه من تصادم وخلافه. وكيوتو هي المدينة السادسة في اليابان من حيث عدد السكان وترتيب المدن هو:

١- طوكيو

٢-يوكوهاما

٣-أوساكا

٤-ناجويا

٥-سابورا

٦-كيوتو

وعدد سكان كيوتو يبلغ مليوناً ونصف، وعدد الجامعات فيها ثمان وثلاثين جامعة، منها ثماني جامعات حكومية فقط، وفيها عدد من الكليات المتوسطة والمعاهد الفنية والتقنية، وكيوتو مدينة علم، فعشر عدد السكان من الطلاب.

وكانت كيوتو هي عاصمة اليابان أكثر من ألف سنة، أي من نهاية القرن التاسع حتى منتصف القرن التاسع عشر. ويفتخر أهل كيوتو بأن جامعاتهم فاز منها ستة علماء بجائزة نوبل في العلوم، بينما فاز اثنان من طوكيو في الآداب.

أما اليابان عموماً فعدد جامعاتها أربعمائة وخمسون جامعة، منها ثلاث وثمانون جامعة فقط حكومية والباقي أهلية. وتقول الدليل التي كانت ترافقنا: إن التعليم أصبح تجارة، ومن الجامعات التي تعرفت عليها جامعة صوفيا في طوكيو وهي جامعة كاثوليكية، وجامعة دوشيشا جامعة بروتستانتية. وملاحظتي هنا: لماذا الهجوم على الجامعات الإسلامية أو الدينية، وهذه الجامعات الكاثوليكية والبروتستانتية تملأ العالم؟! والطلاب في اليابان يدفعون رسوماً دراسية للجامعات الحكومية، ولكن الرسوم في الجامعات الأهلية تصل إلى الضعف. وبعض الأهالي يدفعون لأبنائهم، بينما الآخرون يضطرون للعمل لدفع

المصاريف، وعرفت أن البنوك الغربية تعطي قروضاً للدراسة. ويرى اليابانيون أن الأسرة إن كان فيها اثنان في الجامعة فإن مصاريفهما ستثقل كاهل الأسرة.

وكان من الملاحظات التي سمعتها من عدة أشخاص وقرأت عنها في مجلة أمريكية أسبوعية هي التايم: أن المجتمع الياباني أصبح مجتمعاً عجوزاً، أو إنه يشيخ أو هو بدأ يتناقص، وسيشعر اليابانيون بهذه الأزمة بعد بضع عشرات السنين، وقد ذكر عام ٢٠٥٠م أو قبل ذلك. ولكن الأزمة موجودة من الآن، لأن اليابان قد بدأت بالفعل تمنح جنسيتها لبعض العمال والفنيين الذين هاجروا إلى اليابان بقصد العمل، ولاحظت أن معظم السياح في الأماكن التي زرتها هم من اليابانيين، والسياحة الخارجية في اليابان قليلة جداً، فمن يطيق الغلاء الياباني الذي يجعل فنجان القهوة بأربعين ريالاً تقريباً، وقس على ذلك من أنواع الغلاء. وثمة نقطة أخرى وهي تمسك اليابانيين باللغة اليابانية، فعندما تبحث عن الحليب قلما تجد نوعاً من الحليب مكتوباً عليه بغير اللغة اليابانية، وقد اضطررت لشراء حليب فقط من شكل العلبة، حيث إن من المتعارف عليه أن لون علب الحليب أزرق. وقد وقع أحد إخواننا المصريين في إشكال، وهو أنهم يسمون الحليب لبناً، فاشترى لبناً وصنع القهوة ووضع فيها من اللبن، وعندما تذوق القهوة وجدها حامضة، فعرف أننا لا نسمي الحليب لبناً بل حليباً (وإن كانت كلها ألباناً).

أما الأماكن السياحية التي يزورها السائح في كيوتو فهي كما يأتي:

- غابة القصب: وهذه الغابة ينتشر فيها القصب، وهو شجر

طويل يزيد ارتفاع الشجرة على عشرة أمتار، ويرتفع إلى هذا الطول خلال عام واحد من زراعته، ثم يزداد سمكاً عاماً بعد عام. والقصب له جذور تضرب في الأرض بعيداً، ويكون شبكة قوية من هذه الجذور تحت الأرض، مما يجعل الأرض متماسكة، لذلك يقولون عند حدوث الزلزال: عليك اللجوء إلى غابة القصب.

وذكرت لنا الدليل: أن القصب ينمو في الصين، ويستخدمه الصينيون للتعذيب، فيحبس الشخص الذي يراد تعذيبه في غرفة صغيرة ذات سقف منخفض، ويكون القصب قد غرس تحت أرض الغرفة، فإذا نما القصب فيكون حاداً جداً، وهذا ما يعذب به السجين. وأتعجب من عبقرية البشر في تعذيب بعضهم بعضاً. وقد قرأت أن الشرطة الأمريكية لديها معاهد لتعليم شرطة البلاد العربية والإسلامية وسائل التعذيب والتحقيق الجنائي وما سوى ذلك حتى المساجين السياسيين. وقد أثيرت ضجة في بريطانيا (ما أكثر الضجات التي تصدر من هناك) عن بيع أدوات تعذيب لدول العالم الثالث، وهو أمر مخالف لحقوق الإنسان. ولكن لا يقال: أي إنسان هذا الذي له حقوق عند الغربيين؟! فهم الذين اخترعوا كل أسلحة الفتك والقتل والتعذيب، وجربوها فينا. ولذلك ما قرأته للشيخ عائض القرني بالمطالبة من الحكومات العربية والإسلامية أن تسعى لامتلاك كل أنواع الأسلحة، حتى لو كانت دولنا قد وقعت على معاهدات واتفاقيات. وهو عين ما قاله دومينك شوفيليه المستشرق الفرنسي في مؤتمر (ثقافة الخوف)، الذي عقد في عمّان في جامعة فيلادلفيا بالأردن في شهر أبريل عام ٢٠٠٦م حيث قال: إنكم إن لم

تتسلحوا وتملكوا القوة، فإن عدوكم يزداد قوة وتزدادون ضعفاً. وعندما قدمت مشاركتي في المؤتمر استشهدت بكلام شوفالييه، وناشدت الدول العربية والإسلامية أن تسعى لامتلاك القوة.

- معبد جنكوان البوذي Genko-an ويطلق عليه رسمياً يوهوزان هوجروين جنكو-آن. ويقع في الجزء الشمالي من مدينة كيوتو، وقد تأسس المعبد عام ١٣٤٦م من قبل أول قساوسة طائفة الزن البوذية، وتغيرت الطائفة التي يتبعها المعبد بعد أن استولت عليه طائفة أخرى هي رنزال عام ١٦٤٩. وتبلغ مساحة المعبد ثلاثة وستين متراً مربعاً، وفي المعبد نافذتان إحداهما مربعة والثانية دائرية، وكل واحدة تمثل رحلة من الارتقاء الروحاني للفرد، فالدائرة يطلق عليها ساتوري نومادو تمثل زن والوعي الديني، أما المربعة فيطلق عليها مايول نومادو التي تعني التطلعات البشرية العميقة للحياة والوصول إلى سن متقدمة والمرض والموت. وهذا يعني أن الإنسان يعاني هذه التطلعات، ويطلق عليها في اليابانية شيكو هاكو سورو Shiku hakko suru وسقف المعبد من الخشب الذي يحمل بقعاً لأقدام المحاربين، وهي بقع من الدم، وقد أتي بها من قصر مومو ياما في فوشيمي في كيوتو.

وللمعبد حديقة جميلة ليس فيها زهور، لأن المعتقد البوذي أن يكون المعبد وما حوله يتصف بالبساطة، ولكن لليابانيين طريقة في ترتيب الأشجار والشجيرات من الأقصر إلى الأطول، ثم تطل الحديقة على فضاء واسع، والفضاء الذي بعدها يجعلها في نظر المشاهد كأنها حديقة واسعة وهي في الحقيقة أقل مما تبدو.

كانت جولتنا بسيارة أجرة كل اليوم، وقد كلف ذلك أكثر من خمسة عشر ألف ين، أي مائة وخمسين دولاراً، وقد يراها مثلي من أساتذة الجامعات كبيرة جداً، ولكن إذا كنت ضيفاً لدولة عظمى، فهي عظمى لما تنفقه على العلم والعلماء. وقد فكرت قليلاً فالمال يعود إلى الشعب الياباني. وكان بالإمكان استئجار سيارة والطلب من الدليل أن تقودها فيكون ذلك أرخص، ولكن لا يمكن أن تطالب دولة من العالم الأول أن تحسب الأمور بطريقة شخص من العالم الثالث.





من الحياة الاجتماعية في اليابان

على الرغم من أن عنوان المبحث السابق تضمن أن كيوتو لم تقصف من قبل الجيش الأمريكي لكني لم أوضح السبب، وقد فهمت أنه نظراً لأن كيوتو مدينة تاريخية، وتضم كثيراً من المواقع الأثرية، فإن الأمريكيين حرصاً على الحفاظ على الطابع التاريخي للمدينة فإنهم تحاشوا قصفها، ولكن يتساءل المرء: لماذا عندما ضربت العراق لم يهتم الأمريكيون بالآثار العراقية؟! وأول ما نهب من العراق كان آثاره، أما وزارة النفط التي جاء الأمريكيون لنهبها فقد حافظوا على تلك الوزارة حفاظاً تاماً. ولذلك فالذي يقول: إن عداوة الغرب لنا إنما هي بسبب بعض المتطرفين منّا و«الإرهابيين» كما يسمونهم ليس صحيحاً، حتى ضرب العراق كان بزعمهم لأن صدام كان يملك أسلحة الدمار الشامل التي تخيف العالم منه. ثبت أنها فرية كبرى، ولم يقل لنا الأمريكيون حتى الآن: لماذا احتلوا العراق؟!!

في سياحاتي عادة ما أحرص على زيارة المقاهي صباحاً؛ لأرى الناس وهم مقبلون على الدنيا والعمل، كيف يتصرفون وماذا يفعلون؟ ولإدمان

قديم لشرب فنجان من القهوة صباحاً. ففي ذات صباح دلفت إلى مقهى له اسم إنجليزي -نادراً ما يسمي اليابانيون الأماكن التجارية بالأسماء الأجنبية- وطلبت كأساً من الشاي، فإذ بالشاي يرافقه صحن فيه بيضة مسلوقة وقطعتا توست مدهونتان بالزبدة -ألذ زبدة ذقتها في مدينة باليرمو بجزيرة صقلية في إيطاليا- لم أرد أن أناقش صاحب المطعم فقد كان فيما بدا لي لا يعرف الإنجليزية، وأحياناً أستسلم عزوفاً عن المحاولات التي لا تجدي للتفاهم.

لدى المقهى قائمة مشروبات ومأكولات مقسمة إلى أقسام، كتب عنوان كل قسم باللغة الإنجليزية، ثم كل شيء آخر باللغة اليابانية، فمثلاً هناك مشروبات ساخنة، ولكن ما هي هذه المشروبات؟ أحتاج إلى مترجم. فيكفي أنه فهم أنني أريد شايًا. واليابانيون يشربون عشرات الأنواع من الشاي، ومنها نوع مثل البودرة تشبه الملوخية الناشفة إذا طحنت. وهذا النوع من الشاي يشرب عادة من دون سكر، وله مذاق غريب، فهو أشبه بالأعشاب منه بالشاي. أما الشاي الأحمر الذي غلب عليه التسمية بالشاي الإنجليزي فهو جيد. حتى ليبتون التي هي من الشركات العالمية المتعددة الجنسيات التي تأتي إلينا بشاي أعتقد أنه رديء، إلاّ أن هذا الشاي عندهم مذاقه أفضل. ولا أَمَلُّ من القول: إن البضائع التي تأتينا إنما هي درجة ثانية لما يباع في أوروبا وأمريكا واليابان حتى في ماليزيا. فهل لهذه الدول مواصفات ومعايير تختلف عمّا عندنا؟

كان عدد الزبائن في ذلك المقهى في ذلك الصباح الجميل سبعة، ثم زاد عددهم واحداً فأصبحوا ثمانية، أما طاولات المقهى فهي من

الخشب المطلي بالأسود. ويساعد صاحب المحل امرأة عجوز، يمكن أن تكون زوجة صاحب المحل. من أهم ما يفعله المرتادون للمقهى أن يقرأوا الصحف اليابانية. وبعضهم يقرأ بتمعن، وكان هناك زبون يقرأ كتاباً.

يوجد في صدر المحل ساعة كبيرة ولوحة لتعليق الأوراق وربما الإعلانات عليها، ويوجد بالمقهى موقد نار أو مكان لإشعال النار، ونظراً لأن الحرارة تنخفض جداً، فإنهم لابد أن يستخدموا التدفئة. وفي أحد المقاهي بالقرب من فندق (آنا) الذي نزلنا فيه في طوكيو بعض المقاهي لديها كراس وطاولات خارج المحل، وبجوار عدد من الطاولات مدفأة. فقلت: يا سبحان الله حتى خارج المحل يدفئون الزبائن.

زبائن هذا المقهى من الموظفين الكبار، كما تدل عليهم هيئاتهم، فمعظمهم يرتدون البذلة الكاملة، ويحملون الحقائب الفخمة، وتسريحة شعورهم تدل على عناية فائقة بهذه المسائل المظهرية، التي تأتي مع طبيعة العمل. ولكن مع ذلك كان في المقهى اثنان من الحرفيين لم يرتديا الملابس الرسمية.

لابد للإنسان أن يعترف أن اليابان بلد جميل جداً، فطبيعته: خلاّبة، جبال خضراء، وأنهار وبحيرات وأشجار جميلة كثيفة وذات خضرة عميقة، ولديهم أشجار أوراقها حمراء وصفراء، وتتغير ألوانها في بداية الشتاء ومع انتهاء الخريف، وفي هذا العام تأخر تغير ألوان أوراق الشجر ويلام الانبعاث الحراري أو زيادة الحرارة الكونية. ومن المعروف أن أمريكا لم توافق على توقيع معاهدة عالمية للحد من زيادة الحرارة الكونية. وأسباب الانبعاث الحراري هو عدد المصانع الهائل في

العالم الغربي وما تطلقه من غازات في الجو، حتى تلوث الجو وتلوثت المياه، وللحضارة الغربية تلوثات أخرى مثل الضوضاء.

ونظراً لأن رحلتنا كانت في موسم سياحي ياباني، فقد اضطررنا إلى أن نغادر الفندق في كيوتو لنسكن ليلة أو ليلتين في منطقة باكو، وباكو هذه بحيرة رائعة الجمال، ترى التقاء الجبال بشواطئ البحيرة، والتقاء الخضرة بزرقة السماء، فما أروعه من منظر! واليابانيون كما ذكرت مغرمون بالألعاب الإلكترونية والفلبرز، فبجوار الفندق السياحي الضخم مركب سياحي فيه متجر ضخم لبيع الألعاب الإلكترونية، كما أن فيه أكثر من صالة للألعاب الإلكترونية.

كنت أعتقد وربما غيري أيضاً أن اليابانيين قصار القامة، وكنا نطلق عليهم الترانزستور، ولكني لاحظت في هذه الزيارة أن قامات اليابانيين بدأت تطول، وسألت المرافقة عن صحة هذه الملاحظة، فقالت: نعم، إن تحسن الغذاء والرفاهية ورغد العيش أدت إلى أن تطول قامات اليابانيين، ولعل الطول في الرجال أوضح.

ذكر لي صديق زار اليابان أنهم شعب هادئ الطبع خجول، ولكن عندما سألت أحد الإخوة الذي درس اللغة اليابانية وحصل على منحة للدراسات العليا في اليابان، ويعمل في المعهد الإسلامي العربي بطوكيو: هل اليابانيون خجولون حقاً؟ وهل ينظرون إلى الناس نظرات فاحصة؟ قال: نعم، إن الياباني ينظر إليك ويدرسك دون أن تشعر به.

☼



لقاءات علمية أكاديمية في كيوتو

ذكرت أن اليابان تهتم بدراسة الشعوب والأمم الأخرى، وقد أسست لذلك العديد من مراكز البحوث والمعاهد والأقسام العلمية، وتطور الأمر إلى جمع عدد من الأقسام والمراكز تحت مظلة معهد أو مركز؛ ففي جامعة كيوتو على سبيل المثال قرروا تأسيس مركز للدراسات الإقليمية المدمج، وعنوانه (Integrated Area Studies Center)، وكان تأسيسه في أبريل ٢٠٠٦م، ويعمل فيه أربعة عشر أستاذا. وقد حضر الاجتماع كل من البروفيسورة فوميكو أوشياكاوا Fumiko Oshikawa وهيامي يوكو Hayami Yoko ويوسوشي كوسجي، الذي أهداني عدداً من الكتب، ويعمل في الدراسات العليا الآسيوية والأفريقية.

وعلمت أن برنامج الدراسات الآسيوية والأفريقية يمنح الدكتوراه خلال خمس سنوات، ومن لا يستطيع الإكمال يمنح درجة الماجستير، ويتكون الطلاب من جنسيات مختلفة فمنهم من جاء من إندونيسيا، ومن تركيا والصين وغيرها، وبلغت هذه الجنسيات خمس عشرة جنسية،

ويتضمن البرنامج عملاً ميدانياً، حيث يذهب الطالب إلى الدولة التي يريد دراستها، ويقضي فيها بعض الوقت لإتقان لغتها، والتعرف عليها عن قرب. وقد عرفت أن الدراسات الإقليمية لم تعد تعتمد فقط على دراسة اللغة وحدها، بل لابد من التعمق في فرع معرفي مثل علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو السياسة أو التاريخ أو العلوم الطبيعية كالطب والزراعة وغيرهما، وتأكيداً لحديث اليابانيين قلت لهم: لقد أحصيت ثمانية عشر قسماً يشتركون في دراسة الشرق الأوسط ودوله وشعوبه تحت مظلة معهد دراسات الشرق الأوسط.

وكان لابد أن أسأل عن الجهات التي تفيد من خريجي هذه الدراسات، فذكر لي أولاً الحكومات المختلفة، والمنظمات غير الحكومية والشركات، وبعضهم لا يعمل باستمرار في مكان واحد.

ومن اهتمام اليابان بالدراسات الإقليمية أن لديها العديد من الهيئات والمؤسسات والجمعيات التي بلغت أربع عشرة هيئة منها:

- المجلس الياباني للعلوم Japan Council of Sciences.
- لجنة الدراسات الإقليمية.
- التجمع الياباني للدراسات الإقليمية Japan Consortium of Area Studies.

وعندما سألت عن علاقة الدراسات الإقليمية في اليابان بنظيراتها في أوروبا وأمريكا قيل لي: إن الدراسات الإقليمية في أمريكا تخضع لرغبات الحكومة الأمريكية، أو إن هذه الدراسات تخضع للتوجيه،

بينما الدراسات الإقليمية في اليابان أكاديمية بحتة، على الرغم من أنها تتلقى دعماً من الحكومة اليابانية وبخاصة عن طريقة المجلس الياباني للعلوم. ولم أود أن أناقشهم بأن الحكومة الأمريكية تدعم عدداً من مراكز البحوث والأقسام العلمية في الجامعات الأمريكية، ولكن هناك عدد كبير من الجامعات المستقلة عن تأثير الحكومة. والآن يوجد صراع كبير في الولايات المتحدة للحد من الحرية الأكاديمية يقود المعركة من الجانب اليهودي الصهيوني مارتن كريمر ودانيال بايبس والمؤسسات التابعة لمجموعتهما.

ومن أنشطة المركز المدمج نشر المطبوعات وإقامة الندوات والمؤتمرات. ومن ملامح استقلال الدراسات الإقليمية في اليابان عن مثيلاتها في أوروبا (هناك تعاون في أن بعض الباحثين اليابانيين مازالوا يدرسون في الجامعات الغربية الأوروبية والأمريكية حول الشرق الأوسط)، ولكن تبين لي أن ثمة إنتاج علمي مميز، وفيما يأتي بعض الإصدارات اليابانية وباللغة العربية التي تدل على رغبتهم في معرفة شعوب المنطقة من خلال إنتاجها الفكري:

١- إعادة نسخ مجلة المنار لصاحبها ورئيس تحريرها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، في مجموعة من الأسطوانات المدمجة مع فهارسها. ولعل سبب الاهتمام بهذه المجلة هو الاهتمام ببواكير النهضة في العالم الإسلامي وبخاصة في مصر.

٢- تراث الفكر السياسي الإسلامي، جمع وإعداد د. يوسف إيبش ود. كوسوجي ياسوشي، وقد صدر عام ٢٠٠٥م ويتكون من ٩٤٨

صفحة من القطع الكبير، ويضم نصوصاً في الفكر السياسي في القديم والحديث، فمن كتابات الماوردي والفراء والجويني والغزالي والشهرستاني إلى الكتابات الحديثة مثل الشيخ شاه ولي الله عبد الرحيم الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب وخير الدين التونسي وجمال الدين الأفغاني وساطع الحصري وعبد الرحمن عزام إلى الفكر السياسي الاشتراكي والشيوعي والقومي المعاصر.

ودار الحديث حول المؤتمرات الدولية الكبرى التي تتناول قضايا الشرق الأوسط، فأشار أحد الأساتذة إلى أنه على الرغم من اشتراك اليابان في تنظيم بعض هذه المؤتمرات، لكنها لم تأخذ حظها الحقيقي في تقديم وجهة نظرها في الدراسات الإقليمية، فلا تزال الزعامة في هذه المؤتمرات للغربيين. وينطبق الأمر على البلاد العربية أو بعضها؛ ففي المؤتمر العالمي الثاني لدراسات الشرق الأوسط الذي عقد في عمان في الفترة من ١٢-١٦ يونيه عام ٢٠٠٦ كانت اللغة الأساسية للمؤتمر هي الإنجليزية، ولم تنل اللغة العربية أي حظ من الندوات والمحاضرات مع أن العديد من الباحثين العرب والمسلمين كانوا يشاركون في المؤتمر؛ بل كانت المراسلات بين المنظمين والباحثين تتم باللغة الإنجليزية، وهكذا جاءت البحوث في الغالب تمثل وجهة نظر الغربيين. وربما كان العيب في عدم وجود اللغة العربية أن الباحثين العرب يعزفون عن حضور المؤتمرات في البلدان العربية أو يعزفون عن الحضور إلى المؤتمرات التي يكثر فيها الباحثون الغربيون.

ومن الجامعات المهمة في كيوتو جامعة دوشيشا التي أسسها شخص اسمه جوزيف هاردي نيسيما (Joseph Hardy Neesima)عام ١٨٦٤م الذي هرب من اليابان وهو في الواحد والعشرين من عمره حين كان الخروج من اليابان إلى العالم الغربي وبخاصة أمريكا يعد جريمة ولو قبض عليه لدفع حياته ثمناً لهذا الخروج. وكان هذا في عام ١٨٦٤م. أراد نيسيما أن يحصل على تعليم غربي فالتحق بالجامعات الأمريكية، ونال درجات علمية، ثم عاد إلى بلاده بعد أن درس في أكاديمية فيليبس وكلية أمهرست Amherst College، وكان مقتنعاً بضرورة تأسيس معهد تعليمي على أسس القيم والأنموذج الغربي والتعاليم النصرانية. ومن ثم أسس في عام ١٨٧٠م أكاديمية دوشيشا (Doshisha Eigakko).

تحتضن هذه الجامعة كلية الدراسات الأمريكية، وهو برنامج دراسات عليا دون أن يكون ثمة برنامج دراسات جامعية.

وتهتم هذه الجامعة بتشجيع التفاهم بين الدول والشعوب والتبادل الثقافي من خلال برنامج المنح الدراسية. وتعد الجامعة واحدة من أبرز الجامعات اليابانية مكانة. وتضم الجامعة كليات في العقائد والآداب والدراسات الاجتماعية والتجارة والسياسة والثقافة وعلوم المعلومات والهندسة.

ويبلغ عدد طلابها أربعة وعشرين ألف طالب موزعين على ثلاث مدن جامعية منفصلة عن بعضها، ويقع الحرم الجامعي الرئيس في وسط المدينة مقابل القصر الإمبراطوري، وتتسم مبانيه بأنها تاريخية وذات طابع معماري مميز. ونظراً لطبيعة الجامعة في الاهتمام

بالثقافات الأخرى، فقد كانت الجامعة منذ عام ١٩٥١م حتى ١٩٨٧م هي المستضيف لحلقات البحث حول الدراسات الأمريكية. وفي عام ١٩٧٢ أنشأت الجامعة برنامج كيوتو المتحد، حيث يحضر بموجب هذا البرنامج أربعون طالبًا إلى كيوتو في السنة الجامعية الثالثة من خمس عشرة كلية من الفنون الحرة من الولايات المتحدة الأمريكية بما فيها كلية امهرست وبيتس وبكنل وكارلتون وغيرها. حيث يقوم هؤلاء الطلاب بدراسات يابانية تحت إشراف أساتذة متخصصين بالإضافة إلى التعرف على المجتمع الياباني مباشرة. وهذا ما دفع جامعة توبنجن في ألمانيا إلى إنشاء برنامج للدراسات اليابانية عام ١٩٩٣م.

وتحتضن الجامعة كلية الدراسات الأمريكية، وهو برنامج دراسات عليا فقط، وتأسس هذا البرنامج عام ١٩٩١م، وأصبح من أهم مراكز الدراسات الأمريكية في اليابان لما تملكه مكتبة الكلية من مراجع لا تتوافر في مكان آخر. ويبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس الدائمين ثمانية أساتذة، بينما هناك العديد من المحاضرين والأساتذة الزائرين الذين يأتون لمدد قصيرة وطويلة. وقد قام أساتذة المركز خلال السنوات الماضية بنشر العديد من الدراسات بالتعاون مع جامعات أمريكية مثل ستانفورد وكورنيل وجامعة شمال كارولينا وغيرها. كما أن للكلية مجلات خاصة محكمة وغيرها من المطبوعات.



فنجان قهوة وأصابع باردة!!

اليوم هو الرابع والعشرون من نوفمبر ٢٠٠٦م (الرابع من ذي القعدة ١٤٢٧هـ)، وبقي من عمر زيارتي لليابان يومان، خرجت صباحاً أبحث عن مقهى أتناول فيه فنجاناً من القهوة، فتلك عادة تملكتني منذ زمن طويل، وقد قال أحدهم: أحسن عادة ألا يكون لك عادة، وسمعت الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله يقول ذات مرة: «العادة تتكون من مرة واحدة» بحثت عن مقهى لتناول القهوة، ولما كان اليوم سبتاً فإن المقاهي لا تفتح مبكرة، فسرت مشواراً طويلاً، وكان الجو بارداً جداً، وعلى الرغم من أنني أرتدي صدرية من الصوف، لكن شعرت بالبرد في ساقيّ حتى لو كان البنطلون أو السروال من الصوف، لكنه لا يغني عن لسع البرد.

وشعرت بالبرد أيضاً في أصابعي التي أحتاجها بعد قليل في الكتابة. ولما جلست لشرب القهوة، وبدأت أشعر بشيء من الدفء، بدأت في الكتابة مستعيداً ذكريات الأسبوعين إلاّ اليومين الماضيين. فها أنا أعود

إلى طوكيو بعد جولة في عدد من المدن الأصغر حجماً والأكثر هدوءاً والأقل ازدحاماً. وقد كانت جولة ثرية غنية بالمعلومات واللقاءات والذكريات.

ماذا أكتب عن هذه الرحلة؟ لقد جمعت عدداً كبيراً من البطاقات، أي أنني قابلت عشرات الأشخاص الذين سأنسى معظمهم، حتى أقرأ الاسم في البطاقة، فلا أعرف من صاحبها ولا أين لقيته، وأحياناً أكتب بضع كلمات على البطاقة لتذكرني بالشخص إن رجعت إلى البطاقات. واليابان بلد البطاقات، فلا تكاد تصافح الشخص حتى يخرج البطاقة ويقدمها إليك بكلتا يديه وبانحناءته المعتادة، فلابد أن يكون لديك من البطاقات ما يكفي، بل إن حافظة البطاقات تباع في البقالات الصغيرة، وقد اشتريت واحدة مصنوعة من الألمنيوم الخفيف، ووجدت أن إحدى المكتبات في الرياض لديها مثل هذه الحافظات كما أن لديهم حافظات بطاقات من الجلد.

اليابانيون يستخدمون الأرقام اللاتينية (يطلق عليها عربية خطأً)، ولكن عندما تريد أن تعرف ما السلعة التي بيدك أو ما تركيبها فكل شيء باللغة اليابانية. وتساءلت وأنا أمضي أسبوعين بالإضافة إلى الأيام العشرة التي قضيتها في الرحلة الأولى هل تغربت اليابان؟ والإجابة عن هذا السؤال صعبة، ولكني كنت أسمع في معظم الأماكن الغناء باللغة الإنجليزية، فقد يكون أمريكياً (وهو الغالب) وإنجليزيا في الأقل. وفي أحد المقاهي كانت الأغنية التي تذاع هي:

كم أنت جميلة،

كم أنت جميلة،

أنت كل شيء تطلعت إليه،

وأنت كل ما أحتاج.

You are so beautiful،

You are so beautiful.

You are everything I hope for,

You are everything I need.

واسم هذا المقهى برونتو Pronto، وبرونتو كلمة إيطالية، وقد لاحظت أن الغناء أو الموسيقى في أماكن كثيرة هو إنجليزي في أغلبه. فهل يحب اليابانيون الموسيقى الأجنبية إلى هذه الدرجة؟ والملاحظ أيضاً أن هذا الأمر موجود في بلاد كثيرة، ففي بعض البلاد العربية تجد أنهم في الأسواق أو في الفنادق الكبرى يحرصون على سماع الموسيقى الأجنبية.

ويرتدي اليابانيون في الغالب الأزياء الأوروبية نساءً ورجالاً، فأزياء النساء بين المحتشمة وغير المحتشمة، فبعض النساء يرتدين البنطلونات الضيقة والأوسع والأوسع، ومنهن من يرتدين البنطلونات القصيرة أو التنانير القصيرة جداً. بينما الأصل في الزي الياباني أنه طويل ساتر. ولكن حتى مع هذه الأزياء الغربية فقد لاحظت أن العري في اليابان أقل مما هو في بريطانيا وبخاصة في فصل الصيف. أما الرجال فيرتدون اللباس الأوروبي الكامل مع ربطة العنق، أو ربما لأنني كنت أسير في الغالب في المناطق التجارية أوالراقية، وربما لا يعترف اليابانيون باللباس الأوروبي غير الرسمي .

ولليابانيين اهتمام بالدين، والمسألة فطرة بشرية البحث عن خالق أو قوة عظمى أو إله. وفي اليابان ديانتان منتشرتان انتشاراً واسعاً، هما البوذية التي انطلقت من الهند إلى الصين فاليابان، والديانة الأخرى هي الشنتو shintō، وهي الديانة المحلية الأصلية لليابانيين، وكانت في وقت من الأوقات الديانة الرسمية للدولة. وتتضمن عبادة آلهة متعددة. (يمكن الرجوع إلى موسوعة ويكيبيديا المجانية لمزيد من التفاصيل).

ثم قام اليابانيون بالخلط بين هاتين الديانتين والديانة النصرانية، فالياباني قد يتزوج في كنيسة ويتبع الطقوس الشنتوية في الدفن والطقوس البوذية في مجال آخر. ومع ذلك فأعتقد أن الذين اعتنقوا النصرانية أكثر حرصاً على عدم الخلط بينها وبين الأديان الأخرى، وكذلك الذين اعتنقوا الإسلام.

والنصرانية لها وجود في المجال الجامعي، حيث إن لديهم جامعة صوفيا في طوكيو، وهي تتبع الكنيسة الكاثوليكية وبخاصة اليسوعيون، وجامعة دوشيشا في كيوتو تتلقى دعماً من الكنائس البروتستانتية.

ويبدو لي أن ديانة اليابانيين أقرب إلى الوثنية من كونها ديانة توحيدية، وربما كانت البوذية في أصلها ديانة توحيدية، ثم دخلتها تحريفات معينة. وكان من ضمن برنامج زيارة منطقة هيروشيما أن نزور جزيرة إنجيما التي يزعمون أنها مدينة الإله، ويزعم بعضهم أن هذا الإله أنثى، ولكونها أنثى فهي تشعر بالغيرة من النساء، فلا ينبغي أن يظهر رجل في حالة عشق مع امرأة في الجزيرة، وتحرم تلك الديانة أن تضع المرأة مولودها في الجزيرة، بل عليها أن تنتقل إلى اليابسة أو المدينة

المجاورة لتضع مولودها، ثم يمكنها أن تعود. ومن طرائف معتقداتهم أن الإله أو الآلهة في تلك الجزيرة تنزل من الجبل لتغسل وجهها فأعدوا بركة خاصة لذلك حتى يبقى الماء متوافراً إن كان هناك جزر وانحسر الماء. كما صنعوا للإلهة جسراً نصف دائري أو هلالي الشكل، يزعمون أن البشر لا يستطيعون المشيء عليه. وأتساءل أي إله هذا الذي يحتاج إلى غسل وجهه، وأن البشر يقدمون له الماء أو يوفرون له الماء ليفعل ذلك؟ وقلت للمرافقة هذا كان حال العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حين كانوا يعبدون آلهة من حجارة ومن خشب وأحيانا من التمر، وقد كتبت في أيام شبابي باللغة الإنجليزية (وإله من التمر لابد أن يؤكل And a God of Dates is bound to be eaten).

كثيرة هي الأشياء الغريبة في الديانة اليابانية؛ ففي أحد المعابد يقف بعضهم في مكان معين ويصفق لتسمعهم الآلهة، ولا أدري هل ينطبق عليهم ما كان ينطبق على العرب حين كانت عبادتهم التصفير والتصفيق ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، وهنا قالت زوجتي خديجة للمرافقة: ولكن إلهنا لا يحتاج إلى تصفيق أو تصفير، فهو قريب إلينا نناجيه وندعوه بصوت عال أو منخفض، ولو دعوناه سراً لاستجاب لنا. وإلهنا لا يحده مكان، وهو أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

وعندهم أماكن مخصصة لتقديم الطلبات أو الرغبات، فالطلاب يأتون إلى مكان معين ليعلقوا رغباتهم في النجاح، ويكتبونها على قطع من خشب معين، وبأشكال وخطوط معينة، وفي هذه السنة التي تسمى عندهم سنة الكلب، يرسمون كلباً على تلك القطع.

وفي مكان آخر من المعبد نفسه في جزيرة إنجيما بالقرب من هيروشيما يعلق اليابانيون أمانيهم عموماً أو هو مكان لتعليق أمنياتهم التي لم يستجب لها في العام المنصرم. وفي مدخل المعبد مجموعة من القطع الحجرية وبداخلها مساحة لوضع الشموع -ولما جاء عصر الكهرباء، وضعوا فيها مصابيح كهربائية- وهذه القطع شكر للإله أو الآلهة التي استجابت لدعائهم، ويعرف الناس حجارتهم التي نصبوها ويتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد. وهناك صف من الحجارة مر عليه أكثر من مائة سنة وفي الجهة المقابلة الحجارة الجديدة.



التعليم العالي

لنخرج من قضايا الأديان إلى التعليم العالي الياباني، فقد دعاني سكرتير المعهد الإسلامي العربي - بترتيب قامت به البروفيسور (ناكامورا) وموظفة المؤسسة اليابانية (واكاهاما)-بطوكيو التابع إدارياً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمستقل في ميزانيته، حيث تأتي من وزارة المالية مباشرة. فتحدثنا عن الأديان في اليابان، فذكر لي أن عدداً من اليابانيين قد أسلموا، وهم بحاجة إلى دعم كبير، لينقلوا الدين إلى أهليهم، وأضاف: إن اليابانيين ينظرون إلى أي أجنبي نظرة ريبة وشك ويشبهونه بـ (السفن السوداء)، وهي السفن الأمريكية التي غزت اليابان، وقد تخرج بعض الإخوة اليابانيين في المعهد، وحصلوا على الدرجة الجامعية، وهم بحاجة إلى إكمال دراساتهم العليا في المملكة، ولكن بعض المسؤولين في المملكة لم يسهلوا عملية التحاقهم بالجامعات السعودية، وبخاصة في مجال الدراسات الإسلامية. ولعل المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية الذي يعمل الدكتور صالح العايد على توفير منح لهم للدراسة في المملكة للحصول على الماجستير والدكتوراه في الشريعة الإسلامية.

وتطرق الحديث إلى التعليم العالي في اليابان والمملكة، فكان مما ورد أن الجامعات السعودية تعاني تخلفاً مزمناً، فهي لم تحصل على أي مركز في التصنيف الدولي للجامعات، وهنا تذكرت أنني قبل سفري إلى اليابان كان برنامج (ساعة حوار) يستضيف الدكتور محمد الخازم ليتحدث عن التعليم العالي، الذي كتب فيه كثيراً وألف كتاباً حوله. وأتيحت لي الفرصة قبل أن أنطلق إلى المطار فقلت: الأستاذ الجامعي في السعودية يعاني إحباطاً وتثبيطاً، فأين المخصصات للبحث العلمي؟ بل أولاً أين الراتب المحترم؟ وذكرت أن بعض أساتذة الجامعات اضطروا إلى فتح محال تجارية صغيرة، بل ربما فتح أحدهم محلاً لإصلاح إطارات السيارات وتغيير الزيوت (البنشر)، ليوفروا لأنفسهم حياة كريمة، وأحدهم عمل في المقاولات، ورفض أن ينفق وقته في البحث، لأن البحث العلمي والترقية تأتيه بثلاثين ريالاً أو أكثر قليلاً، فكيف يرعى أبناءه ويدخلهم المدارس أو يعالجهم. وقد ثبت أن كادر أعضاء هيئة التدريس في السعودية هو الأقل في دول المنطقة.

حقق التعليم العالي الياباني استقلالية منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وليت الفرصة تتوافر لدي لأترجم محاضرة ألقاها أحد خبراء التعليم العالي الياباني في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض قبل سنتين تقريباً، وربما نفكر في المملكة بإنشاء مجلس أمناء لكل جامعة، ونجعل من بينهم شخصيات مالية كبيرة حتى ينفقوا من أموالهم على التعليم، بدل أن تتضخم الأرباح في البنوك

المحلية، ولا أحد يستفيد منها قرشاً، وقد شاهدت شيكاً (نشرت صورته في إحدى الصحف) عن شركة يونانية يتبرع مديرها العام اليوناني بمبلغ لإحدى الهيئات الخيرية في البلاد. فأين تبرعات أصحاب المال للتعليم العالي، وهم يحبون أن تقع الأموال في أيدي من يحسن استخدامها، وهذا من حقهم.



الصحافة اليابانية الناطقة باللغة الإنجليزية

لم تتح لي الفرصة للاطلاع على الصحافة اليابانية الناطقة باللغة الإنجليزية لانشغالي بالسفر من مدينة إلى أخرى، وكثرة المقابلات والجولات السياحية، ولكني استطعت أن أتصفح صحيفتين من الصحف اليابانية، وهما جابان تايمز Japan Times وصحيفة يوميوري Yomiuri، وفيما يأتي بعض الموضوعات التي لفتت انتباهي:

- **صحيفة الحكومة البيضاء، كُلِ الأخضرَ والفطور، ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٦م**

وافقت الحكومة اليابانية في اجتماعها يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٦م على وثيقة تهتم بغذاء الشعب الياباني، مؤكدة ضرورة الالتزام بالتغذية الصحيحة، فقد دلت استطلاعات الرأي على وجود تدهور في عادات الطعام في البلاد، حيث إن ٢٥,٩٪ من الأسر اليابانية تتناول طعام العشاء مجتمعة، بينما كان هذا الرقم هو ٣٦,٥٪ عام ١٩٧٦م، وزادت نسبة الميل إلى تناول الطعام خارج المنزل، كما أن عدد الأطفال في الصف الخامس الذين يتناولون وجبة الإفطار أو لايتناولونه إلاّ نادراً قد ارتفعت إلى ٢٥٪.

وأشارت الوثيقة إلى أن الأطفال الذين لا يتناولون الإفطار يميلون إلى الشعور بالتعب والانفعال أو القابلية للانفعال والانزعاج.

وقد أوضحت الحكومة أن من بين أهدافها حتى عام ٢٠١٠ أي بعد ثلاث سنوات أن يتناول جميع الأطفال طعام الإفطار، وتخفيض نسبة الرجال في العشرينيات من أعمارهم الذين لا يتناولون طعام الإفطار إلى ١٥٪ من النسبة الحالية التي تبلغ ٣٠٪.

تعليق: لماذا تهتم الحكومة اليابانية بهذه القضايا؟ هل فرغت من القضايا الكبرى حتى يكون من بين اهتمامها ما يأكل الناس وما يشربون ويفطرون أو لا يفطرون؟ هل من مسؤوليات الحكومات مثل هذه القضايا؟ ولكني أتذكر (على طريقة سفيان الثوري) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لو أن بغلة عثرت في العراق لعلمت أن الله محاسبي عليها: لِمَ لَمْ تُسَوِّ لها الطريق يا عمر؟». وعمر هو الذي فرض لكل من يفطم من أطفال المسلمين؛ حتى سمع بكاء طفل في المسجد فذهب إلى أمه ينهرها لم لا تستطيع إسكاته، فقالت: الله بيننا وبين عمر، لقد فرض لمن يُفطم، وأنا أحاول فطمه، فبكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قائلاً: كم قتلت من أطفال المسلمين؟ وأمر بأن يفرض لكل من يولد في الإسلام، وأين نحن من هذه التشريعات في البلاد الإسلامية؟ لقد قرأت مؤخراً أن ألمانيا أو السويد أو دولة أوربية أخرى فرضت مبلغاً محترماً لكل من يولد.

- **الخبر الثاني: الين من أجل الين A Yen for Yen**

تجمع نحو ألف شخص لشراء تذاكر اليانصيب الضخم لنهاية العام، واسم هذا اليانصيب هو تاكاراكوجي Takarakuji، وأكشاك بيع

التذاكر في منطقه اسمها جينزا من الساعة الثامنة والنصف صباحاً، حيث بدأ بيع التذاكر في اليابان كلها، ويستمر البيع حتى ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦، ويكون السحب ليلة رأس السنة.

وقد وصلنا بلاء اليانصيب في أشكال لا أول لها ولا آخر، فما زلت أذكر الصحف التي وضعت مسابقات وكوبونات ليتسابق الناس في المعرفة، وإذ بالأمر كذبة كبرى، فلا معرفة ولا يحزنون، لأن الكوبونات أصبحت تباع وحدها فلا تحتاج أن تبحث عن الحلول أو حتى تقرأ الجريدة. وكل ما عليك سوى وضع اسمك في كل كوبون، وتسلمها لمن باعك الكوبونات محلولة. وانتظر الفوز بالجائزة الكبرى. والآن الفضائيات والإعلانات التجارية كلها تسوق يانصيبات لا أول لها ولا آخر. ولينتظر الأغبياء الفوز. ويقابلك أحدهم قائلاً: هل شاركت معنا في السحب؟! ألا تريد أن تشارك معنا في السحب؟! ولن أطيل ولكن أنتظر العلماء ليقولوا كلمتهم للناس بكل الوسائل المتاحة، فلو أن كل إمام مسجد تحدث دقيقتين عن الأمر، أو لو جعلها الخطباء جزءاً من خطبة الجمعة كل أسبوع للتحذير من اليانصيب.

- **الخبر الثالث: موظفون رسميون يتناولون العشاء بعد موت طالبة!!**

اجتمع عدد من كبار المسؤولين في إدارة التعليم في مقاطعة ياماجاتا Yamagata لتناول طعام العشاء في اليوم الذي انتحرت فيه طالبة عمرها ستة عشر عاماً، وتدل الشواهد على أن الطالبة انتحرت بسبب السخرية والمضايقة والتحرش، وقد شاهد مدرسون الطالبة تلقي بنفسها يوم الأربعاء الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً في مدرسة

تاكاهاتا الثانوية، وقد تركت رسالة في هاتفها النقال تذكر عدداً من الطلاب بالاسم كانوا سببًا في انتحارها. وقد كان عدد المسؤولين الكبار أعضاء المجلس التعليمي واحداً وعشرين شخصاً، كانوا يتناولون العشاء في اليوم نفسه، واعترف مسؤول التعليم في تلك المقاطعة بقوله: «لقد كان تصرفنا غير حكيم، ونحن نأسف لتصرفنا».

- **الخبر الرابع: الوزراء يتعهدون بمعالجة مشكلة السخرية والاستهزاء والتحرش في المدارس ويصرون على إصلاح التعليم.** Japan Times Weekly Nov. 18, 2006

تعهد كبار الوزراء في ١٢ نوفمبر على إحداث تغييرات في التعليم العام بعد سلسلة من انتحار الشباب قبل سن العشرين في أحداث مرتبطة بالسخرية والابتزاز والتحرش. وقد أعلن سكرتير رئيس مجلس الوزراء يوسوهيسا شكوزاكي Yaushisa Shiozaki أن موت الطلاب الذي حدث مؤخراً «همٌّ عظيم»، وحث المدارس والأسر والجيران لاتخاذ إجراءات لحماية الشباب، وحث مجموعة حكومية لمعالجة المشكلة بصفتها واحدة من المشكلات التي تحتاج إصلاحاً منظماً، وهذا من الأولويات السياسية لرئيس الحكومة شينزو آبي Shinzo Abe.

وقد أرجع وزير التعليم بونمي ابيوكي Bunmei Ibuki الأمر إلى تدني المستوى الأخلاقي قائلاً: «يجب أن نبحث عن وسائل لإعادة العلاقات والروابط بين الأسر والمجتمع، التي تواجه حالياً ضعفاً كبيراً، وأشار إلى أن اللوم يوجه كله حالياً على الأساتذة». وأضاف: «إن مؤشرات الانتحار يتم إهمالها بسبب ضعف الروابط الأسرية واللامبالاة بين الجيران».
ومن الحوادث التي ذكرها الخبر:

- اثنان قتلا نفسيهما يوم ١٢ نوفمبر، وثالث شنق نفسه في منزله في مقاطعة سايتاما Saitama.
- ألقت فتاة عمرها ١٢ سنة نفسها من بناية سكنية.
- هناك ثلاث حالات لطلاب أرسلوا رسائل يهددون بأنهم يخططون للانتحار، وهناك تسع رسائل من هذا القبيل، وتم الاتصال بمرسليها لمنعهم من الانتحار.[١]

فمن يعلم الشعب الياباني أو الشباب الياباني هذه القيم والمثل؟ فيستطيعوا القضاء على ظاهرة الانتحار؟

---

(١) تعليق: من يعلم اليابانيين حق المسلم على المسلم، واحر قلباه!! وا أسفاه!! كيف نصل إليهم ببعض ما لدينا من تشريعات عظيمة في التعامل الاجتماعي، وأذكر هنا بعض الآيات والأحاديث لعل أحداً يترجمها ذات يوم إلى اليابانية:

- قول الله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٢٩).
- قول الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المائدة (٥٤)
- قول الله عز وجل: ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾.

انظر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر).

وقوله: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) وكلمة طلق أوسع بكثير من التبسم الذي ورد في حديث آخر (وتبسمك في وجه أخيك صدقة)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم، قالوا بلى قال أفشوا السلام بينكم).

ومن حق المسلم على المسلم أن يناديه بأحب الأسماء إليه. أما السخرية فقد نهى عنها القرآن الكريم في سورة الحجرات في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾. ونهى الإسلام أن يروّع المسلم أخاه المسلم ولا أن يأخذ من ماله شيئا إلاّ بطيب خاطر حتى لو كان عوداً من أراك.



- **الخبر الخامس: المستشفيات تخسر الحرب ضد الالتهاب** The Daily Yomiuri في 25 نوفمبر 2006م.

سجلت المستشفيات ارتفاع حالات الموت بسبب الالتهابات التي سببها جراثيم مقاومة للمضادات الحيوية، ويدعي الخبر أن اليابان ينقصها الخبراء المتخصصون في التعامل مع هذه الحالات، وحالات الالتهابات هذه تحدث في المستشفيات. ويقول أحد أساتذة الطب في جامعة يابانية: إن رقم هذه الحالات مرتفع جداً.

- **الخبر السادس: التعامل مع الموت على الطريقة اليابانية**

هذه مقالة طويلة قرأتها مرة ولم أحب قراءتها مرة أخرى؛ لأنها تتعلق بالطرق التي يتعامل فيها البعض مع الموت، ولكنها تشير إلى أنواع التخلص من جثمان الميت، ومن الطرق التقليدية عندهم الحرق، والدفن على الطريقة المعتادة في باطن الأرض، ولكن الأراضي قليلة ولا يمكن عندهم دفن أكثر من شخص في مكان واحد، ولابد من شراء تلك الأرض. وتتحدث المقالة عن الطقوس في عملية الدفن، واستئجار البعض لشقة ليجتمع بها المعزون والأقارب، ويتحول الأمر إلى جلسة اجتماعية وضحك وسخرية، وربما كانت الاحتفالات من ماله، فيأكل الجميع ويسمرون وهو يحاسب عن تلك الأموال!! أو كما يحدث عندنا يتبرع كريم من الأقارب والأحباب ويجتمع الناس ليسمروا ويتسلوا!!

خديجة وهاشم ومازن سياحاً

كم سمعت أمي تردد (من أحبه ربّه جعله يشاهد خلقه) وبالعامية (ورّاه ع خلقه). فهل السياحة من هذا الباب؟ أعرف أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا أحب الله عبداً فقهه في دينه)، ولعل مشاهدة الكون نوع آخر من الحب، لم أسأل أمي عن هذا الأمر فقد كنت قليل السفر لأسباب لا أبيح لنفسي أن أذكرها الآن، على الرغم من أنني عملت في الخطوط السعودية ثنتي عشرة سنة.

صحيح أنني جئت إلى اليابان بدعوة من المؤسسة اليابانية لإنجاز عدة مهمات علمية، ولكنهم حرصوا على أن تكون السياحة والتعرف على معالم البلاد جزءاً منها. وها أنا ذا أقدم بعض الفقرات عن الأنشطة السياحية التي استمتعت فيها برفقة هاشم وخديجة، وكان من الاستمتاع الانزلاق في جو ممطر وعلى أرض خضراء وأنا أحمل هاشم، ولكن كانت سليمة والحمد لله!! كان اليابانيون يخافون أن يمرض هاشم أو أمه في أثناء الرحلة، فمن يتحمل نفقات العلاج؟!!

إن التفكير العقلي يؤيد كلامهم، ولكن نحن قوم أمرنا مختلف نوعاً ما، فعندنا قدر من التوكل والحمد لله.

المهم تضمنت الرحلة عدداً من الأنشطة السياحية، وفيما يأتي شيء منها:

- برج طوكيو www.tlkyotower.co.jp

حرصت مرافقتنا على أن نزور الأماكن التي تظهر التقدم والتقنية اليابانية، ومنها برج طوكيو وهو معلم، سياحي مهم، وأذكر أنني كنت في باريس في فصل الصيف قبل أعوام وكان عليّ أن أقف في طابور طويل لصعود البرج عن طريق المصاعد، فقررت أن أترك الفرصة، ولكني قبل ذلك صعدت، وفي عام ١٤٠٤هـ(١٩٨٤م) صعدت إلى الدور الثاني من البرج من خلال السلالم، وكنت أرى عجائز يصلون إلى أعلى البرج صعوداً على الأقدام، وهذا البرج لم يكن مزدحماً ربما لأنه كان موسم الخريف أو ربما كنّا في أحد أيام الأسبوع، أما معلومات البرج فيصل ارتفاعه إلى ثلاثمائة وثلاثين متراً (٣٣٠م)، خصص الجزء الأعلى منه للإرسال التلفزيوني لأشهر محطات التلفزة اليابانية NHK التي تضم محطة تعليمية، وقناة أساهي وقناتي فوجي وقناة TBS ومحطة الغناء العالمية NTV وتلفزيون طوكيو وقناة جامعة الهواء، ثم مرسل القنوات الرقمية، وبعد ذلك محطة الأرصاد الجوية والراديو.

وعلى ارتفاع ٢٥٠ متراً يوجد برج الملاحظة، وهو المكان المسموح للجمهور أن يصعد إليه لقاء رسوم معينة، حيث يمكن مشاهدة جبل

فيجي أعلى جبال اليابان، وجبل تسوكوبا Tsukuba وفي الليل يمكن مشاهدة أضواء طوكيو اللامعة.

ويزن برج طوكيو أربعة آلاف طن، وهو أعلى من برج إيفل في باريس الذي يزن سبعة آلاف طن، وسبب الفرق في الوزن التقدم التقني في صناعة الصلب. أما عدد الموجات التي تبث من برج طوكيو فهي ثلاث وعشرون، منها أربع عشرة على نظام الأنالوج أو الموازي، وتسع منها رقمية، وهذا يدل على أن معظم محطات التلفزة في طوكيو تبث من هذا البرج.

وعدد الكشافات أو مصابيح الإضاءة الضخمة فيصل إلى مائة وستة وسبعين مصباحاً (١٧٦)، ويستخدم اللون البرتقالي شتاءً، واللون الأبيض الفسفوري في الصيف، ليزيد من متعة المارين.

- المعبد الذهبي: روكون جي The Golden Pavilion واسمه الشائع هو: كنكاكو Kinkaku، ويطلق على المبنى الرئيس للمعبد روكون جي، وقد كان المسكن الخاص لكنتسون سايونجي Kintsune SaionjiK، وقد تنازل الشاجون (لقب ملوك اليابان: في فترة من تاريخها) عن الحكم سنة ١٣٩٤م وبعد ثلاث سنوات بدأ في بناء هذه الفيلا التي أصبحت معبداً بعد موته بناء على وصية منه. ويقع المعبد في منطقة جميلة من التلال الخضراء والسواقي والجداول، ويتكون هذا المعلم من الأشياء الآتية:

- بوابة على الطراز الصيني.
- منطقة سكن رجال الدين.
- جزيرة أشيهارا Ashihara.
- المعبد الذهبي.

- بيت الشاي وهو مكان تقليدي لشرب الشاي الياباني، واليابانيون مغرمون بالشاي، وله طقوس كثيرة وأوان خاصة، ومن أنواع الشاي الشاي المسحوق، ولا أجد تشبيهاً له إلاّ مثل الملوخية الجافة عندما تغلى يشببها في القوام واللون، ويختلف في الطعم، ويشرب في أغلب الأحيان من دون سكر. ومن غرام اليابانيين بالشاي أن لديهم آلات تبيع الشاي الساخن جداً في أوان معدنية أو بلاستيكية. وترى قوارير الشاي مع سائقي التاكسي ومع ركاب القطارات وفي كل مكان، وراودتني نفسي أن أشرب مثلهم ذلك الشاي، ولكني بقيت متردداً ولم أفعل.

- قصر الشاجون: وهو قصر مبني من الخشب، وله بوابة خشبية منحوتة عليها رسوم وتماثيل. ويتكون القصر من عدة حجرات واسعة، جزء منه سجن للأعداء مصور على جدرانه حيوانات مفترسة كالنمر الذي تخيله الرسام -اليابان ليس فيها نمور-، أما الحجرات الأخرى فمنها حجرة يستقبل فيها الشاجون ضيوفه، وفيها يظهر كيف يجلس الشاجون بعيداً عن ضيوفه، ويخدمهم صبي صغير، وللوزراء مكان خاص في القاعة، كما أن الجدران التي تفصل القصر عن الحديقة مغطاة بالورق، الذي يمنع الشمس ولا يمنع الضوء، وهو إبداع جميل ليتنا نتعلمه في هذه البلاد التي تحرقنا فيه الشمس، فنغلق النوافذ ويضيع علينا ضياؤها.

الطرق السريعة اليابانية والهدوء: تعجبت من الأسوار التي تحيط الطرق السريعة، فسألت عنها، فإذ بها أسوار مانعة للأصوات، وقد بنى اليابانيون آلاف الكيلومترات من الأسوار حول الطرق السريعة لتمنع

الضجيج من الوصول إلى المناطق السكنية. فهل بناء هذه الأسوار من الترف؟ هل أخذ بهذه الطريقة غير اليابانيين؟ ومسألة الهدوء مهمة لدى اليابانيين، فقد علمت أن مطار هيروشيما عندما كان قريباً من المدينة كان العمل فيه محدداً بساعات معينة، حيث لا بد أن يقفل أمام حركة المرور، وأعتقد أن هذا الأمر موجود في أمستردام، فلا يمكن أن تهبط طائرة بعد العاشرة ليلاً، ولا تقلع قبل السابعة صباحاً. ولذلك فهم في هيروشيما بنوا جزيرة بعيدة عن العمران، وأسسوا فيها مطاراً مفتوحاً أربعة وعشرين ساعة.

وقفات شعرية: عندما أدون مذكراتي عن الرحلات أحب أحياناً أن أقطع الحديث بتدوين بعض الأبيات الشعرية من محفوظاتي، وفيما يأتي بعضها:

وإني لأهوى النوم في غير حينه

لعل لقاءً في المنام يكون

xxxxxxx

دع المقادير تجري في أَعِنَّتِها

ولا تبيتن إلاَّ خاليَ البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها

يغير الله من حالٍ إلى حالِ

xxxxxxx

إذا أقبلتْ باضَ الحمامُ على الوتد

وإذا أدبرتْ بالَ الحمارُ على الأسد

xxxxxxx

لا أَتَّقِي حَسَكَ الضغائنِ بالرُّقَى

فِعْلَ الذليلِ ولو بقيتُ وحيدا

لكنْ أُجَــرّدُ للضغائنِ مثلَها
حتى تموتَ وللحَقُودِ حَقُودَا

xxxxxxx

وأوسع الأمر ما للمرء فيه هوى
سَمُّ الخِيَاطِ مع الأحباب ميدان
وأضيق الأمر ما للمرء فيه جوى
صَدْرُ الجِنَانِ مع الأعداء ميدان

xxxxxxx

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى
واني وإيــاهــا لمختلفان
تحن وتبدي ما بها من صبابة
وإني لــولا الأســى لقضاني



قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية من اليابان

وفيما أنا أراجع دفتر المذكرات عن اليابان عثرت على عدد من الموضوعات التي يمكن أن تلقي الضوء على الحياة الاجتماعية في اليابان، وفيما يأتي بعض هذه الموضوعات.:

تجارة الجنس في اليابان ، Japan Times, November 26,2006

من المشكلات التي تواجهها اليابان ممارسة الفتيات دون سن العشرين لأنشطة جنسية مختلفة، فقد أورد الخبر أن فتاة عمرها ثنتا عشرة سنة من مقاطعة كاناجاوا Kanagawa اختفت من منزلها، وعُثر عليها بعد أربعة أيام بصحبة رجل عاطل عمره ٣١ سنة في فيللا تملكها الأسرة تم الاتصال بينهما من خلال الإنترنت. وقد اتهم الرجل باحتجاز فتاة قاصر، وتساءل كاتب الخبر: هل هذه الحادثة نادرة أو إنها شائعة؟ وأضاف: إن الآباء والأمهات والمعلمين لا يدركون الأفكار الشيطانية، التي تتم برؤوس الصغار حين يسمحون لهم بالاتصال عن طريق الكمبيوتر والتلفون النقال دون رقابة.

وهناك مجلة أسبوعية جنسية أبدت شعوراً بالدهشة من تغلغل الممارسات الجنسية بين الشباب دون العشرين بحثاً عن المال، وأوردت المجلة السبيل إلى ذلك بأن الفتيات يضعن إعلانات يعبرن فيها عن استعدادهن لالتقاط مناظر خليعة لهن مقابل بعض المال، وقالت إحداهن: إن مصروفها محدود فهي تبحث عن زيادة مصروفها -قرأت في الصحف المغربية أن فتيات مغربيات يفعلن الأمر نفسه-. فمن المديرون لمثل هذه الشبكات في أنحاء العالم، ألا من دولة تحاربهم؟!! وقالت فتاة أخرى: «والداي لا يهتمان بي فلماذا أهتم بما يحدث؟». وقال الدكتور كوجي ماروتا Koji Maruta عالم الاجتماع ومؤلف كتاب (البنات اللاتي يمارسن البغاء والرجال ذوو عقدة اللوليتا): إن صناعة الترفيه والمجلات الأسبوعية تروج لنموذج لوليتا (الفتاة الصغيرة دون الخامسة عشرة التي تمارس الجنس مع رجل أو رجال كبار في السن)، حيث تقدم هذه الوسائل صور الفتيات الصغيرات في أوضاع خليعة. إن هذه الصور تثير غرائز الرجال، الذين يعانون أدمغة منحرفة، وتسيطر عليهم فكرة المتعة مع الصغيرات. إن هذا يؤثر في المجتمع كله».[1]

متاحف يابانية: كان من بين تركيز إحدى المرافقات لنا في هذه الرحلة أن نزور المتاحف، وحرصاً على الاهتمام بالثقافة اليابانية فقد زرنا عدداً من المتاحف ومنها المتحف المسمى: شيتا ماشي Shita Machi، وهو متحف خاص بحياة الناس العاديين في اليابان، ونظراً

---

(١) أود أن أضيف: هل من جهة تدرس القنوات الفنائية الفضائية العربية التي تتزايد أعدادها يوماً بعد يوم، ولا يهمها إلاّ نشر ثقافة الخلاعة والعري والخنا والفجور؟ فهل ينتظرون أن يصبح شبابنا جادّاً ويسعى للبناء وهذا هو زاده؟!! متى يتنادى الشرفاء من هذه الأمة لوقف هذا الفساد الكبير؟!!

لأن اليابان كغيرها من مجتمعات العالم ففيها شيء من الطبقية. وهذا المتحف يقدم حياة طبقة الحرفيين، حيث يقدم المتحف مساكن الحرفيين وأدواتهم وبعض منتوجاتهم. ومن الحرف التي اطلعنا عليها حرفة النجارين والحدادين، وكان هناك عدد من الألعاب الخشبية، وبعض تلك الألعاب كان معروضاً للبيع، وهي غالية الثمن ربما أولاً لأنها تراثية وتقديراً لصانعيها، وثانياً لأن مستوى المعيشة في اليابان مرتفع أكثر بكثير مما يستطيعه أستاذ جامعي ليس له إلاّ الراتب المتواضع. وبمناسبة الراتب فقد فكرت ذات مرة أن أدفع بقشيشاً أو إكرامية لمن حمل حقائبي أو من حملت الحقائب في الفندق، ففكرت كثيراً في قيمة البقشيش، ثم تساءلت: ومن أنا لأدفع بقشيشاً؟ فهذا العامل يرتدي حذاءً تعادل قيمته أكثر من قيمة الأحذية التي اشتريتها في السنوات الخمس الأخيرة (علماً بأنني أشتري فقط عندما تصل التخفيضات إلى أكثر من سبعين في المائة)، فتراجعت وترحمت على حال الأستاذ الجامعي عندنا. وأضيف: لقد فكرت أن أبحث عن وظيفة تدريس ولو لفصل واحد، لأتذوق راتب الأستاذ الجامعي في دولة من العالم الأول.

متحف هيروشيما للسلام:

تستحق مدينة هيروشيما حديثاً مفصلاً، لقسوة ما تعرضت له بإلقاء أول قنبلة ذرية في العالم، وهدمت عن بكرة أبيها، توضح قسوة الأمريكي ووحشيته، وهو ما يراه البعض دليلاً على قسوة الحضارة الغربية ووحشيتها. وقد استمعت ذات مرة إلى الدكتور علي المزروعي -من كينيا وأستاذ العلوم السياسية في العديد من الجامعات الأمريكية

وله موقع خاص في الإنترنت- في محاضرة في إحدى دورات الجنادرية عن الهمجية الغربية، وأن هذه الحضارة تتسم بالولع الشديد في سفك الدماء والتدمير. ويكفي ما فعلته أوروبا وأمريكا بألمانيا مثلاً، وما فعله الألمان في فرنسا وبريطانيا. وقد زرت برلين ولا تزال بعض آثار تدمير الحرب العالمية قائمة في وسط برلين الغربية.

تساءلت: لماذا ضربت أمريكا مدينة هيروشيما؟ ومتى ضربت المدينة؟ وكم عدد القتلى الذين وقعوا من جراء تلك القنبلة؟ وما آثار الجريمة حتى اليوم؟

بدأت المرافقة تتحدث عن هيروشيما قبل القنبلة، فقالت: كانت هيروشيما مدينة العلم والحربية، فقد كانت مزدهرة بالعلم من حيث الجامعات والكليات والمعاهد، وقد كان يفد إليها الطلاب من جميع أنحاء اليابان. كما أن المدينة كانت مزدهرة من الناحية الحربية؛ فهي مقر الفرقة الخامسة من الجيش الياباني. وهذه الفرقة من الفرق التي دخلت الصين وقامت باحتلال بعض مقاطعاتها. وفي ذلك المتحف يظهر اليابانيون بشيء من الفخر إنجازات تلك الفرقة في إخضاع بعض مقاطعات الصين. لا أدري هل يغضب الصينيون لذلك أو إن لديهم أيضاً ما يفتخرون به من طرد الاحتلال الياباني؟

كانت أمريكا تعد العدة لضرب العديد من مدن اليابان غير هاتين، ولكنها قررت في النهاية أن تكون الضربة موجهة لمدينتي هيروشيما وناجازاكي. ولذلك امتنعت أمريكا عن ضرب المدينتين، وكما قالت مرافقتنا وذلك لتقدير الدمار الذي ستحدثه القنبلة الذرية حين

إلقائها. ألقيت القنبلة على هيروشيما يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥م، وكان التدمير هائلاً حتى لم يبق سوى بقايا هيكل حديدي لمبنى للتبادل التجاري التي قامت الدنمارك أو مهندسون دنماركيون بتصميمه. ويمكنك من خلال الجولة في المتحف أن ترى مراحل ضرب المدينة، وكثيراً من المناظر المؤلمة لمن أصيبوا في الكارثة، وبعض القصص العاطفية لنساء وأطفال وشيوخ كبار أصيبوا من جراء الانفجار.

وكان من بين الأحاديث التي تبادلتها مع بعض اليابانيين عن الخطر الكوري الشمالي، وكيف أن اليابان ليس لها جيش وإنما تعتمد على القوات الأمريكية على الرغم من إقرار البرلمان الياباني إنشاء وزارة دفاع. وكأن اليابانيين مروا بسنوات طويلة من التأثر بالدعاية الأمريكية أو الحرب النفسية أنه لا ضرورة لوجود جيش، فالقواعد الأمريكية والجيش الأمريكي يمكن أن يحمي اليابان. وكان موقفي أن الأمريكيين لن يكونوا أكثر إخلاصاً من اليابانيين في الدفاع عن اليابان. ولا يعترف التاريخ لدولة دون أن يكون لها قوة. وقد ذكرت لأحدهم المثل العربي (لا يفل الحديد إلاّ الحديد). ولكن سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية حولت اليابانيين إلى شعب مسالم (أكثر من اللازم) حتى عندما يذكر كثير منهم الأمريكيين لا يذكرونهم بغضب، كما نفعل نحن في العالم العربي (معظمنا). أما الانهزاميون والمنبهرون والجاهلون بحركة التاريخ والحضارات، فيرون أمريكا قوة قاهرة لا قبل لأحد بها، ولذلك علينا مسالمتها أو الاستسلام لها.

متحف طوكيو (مرحلة الأدو)

ومن زياراتي السياحية في طوكيو زيارة متحف طوكيو لمرحلة (أدو)، وهو الاسم القديم لمدينة طوكيو، وقد كان يقسمها جسر ضخم من الخشب، وقد أصبح الآن من الصلب والإسمنت، ويتفرع من الجسر خمسة خطوط، ولكن الطريف في خريطة (أدو) طوكيو قديماً أن الحاكم وقصره وحاشيته كانت تحتل أكثر من نصف مساحة المدينة، وعامة الناس يسكنون في بنايات كبيرة من طابق واحد مقسمة إلى بيوت أصغر، وهناك نظام للري جميل تؤخذ المياه من النهر، ولكل مجموعة من المساكن بئر يستقون منها. واسم الحاكم في تلك المرحلة الشوجان.

عاشت طوكيو واليابان مرحلة أغلقت حدودها ومنع المواطنون اليابانيون من الاتصال بالعالم عدا كوريا والصين وهولندا -لا أدري لماذا استثنيت هولندا؟!!

أما طوكيو في مرحلة التطور والانفتاح على العالم والتغريب وأخذ ما عند الأوروبيين فقد اتسمت بالتصنيع، وكانت أول سيارة يابانية صنعتها شركة سوبارو عام ١٩٢٩، وكانت سيارات التاكسي في اليابان في تلك المرحلة حتى عام ١٩٤٩م من نوع فورد، وكانت تسمى سيارة الين الواحد -انخفض الين حتى أصبح الدولار يساوي أكثر من مائة ين- ولعل اليابانيين قصدوا ذلك حتى يستطيعوا ترويج بضائعهم في العالم.

أما اليوم فسيارات الأجرة نوعان، سيارات كبيرة وتبدأ أجرتها من ستمائة وستين يناً، والسيارات المتوسطة وتبدأ أجرتها بستمائة وأربعين يناً.

مسرح كابوكي زا Kabuki Za

للمسرح مكانة مهمة في حياة اليابانيين، وهذا المسرح بدأ قبل مئات السنين، تقوم بأدواره فتيات صغيرات، ولكنه تحول إلى البغاء، مما دعا أحد الحكام إلى إصدار أمر ألا يقوم بأي دور في ذلك المسرح إلاّ الرجال، ومن ثم صار الرجال يقومون بالأدوار النسائية، فيرتدون ملابس النساء، ويضعون كل الأصباغ، وقالت مرافقتنا: إن الرجال في هذا المسرح من كثرة قيامهم بالأدوار النسائية تأنثوا، فيا للعجب قالت العرب عن الجمل: (استنوق الجمل) وقال الشاعر:

وما عجبي أن النساء ترجلت
ولكن تأنيث الرجال عجيب

وقصة الكابوكي التي شاهدناها تحكي قضية سياسية، وهي أن أحد الحكام مال إلى امرأة ساقطة، فاضطر إلى ترك الحكم لابنه، ولكن كان ابنه صغيراً، فبدأت المؤامرات من أقارب الملك على السيطرة على الحكم، وفيها مؤامرات على قتل الصغير أو غير ذلك. وتشير المسرحية كذلك إلى صراعات قبلية.

☼

الرحلة إلى هونج كونج

هونج كونج أعلى ضجيجاً وضوضاء في العالم

كان في ذهني أن أزور هونج كونج وليس الصين، ربما لأنه طالما ارتبط اسم هذه الجزيرة ببريطانيا قبل أن تعود إلى الصين الأم، وعندما زرتها لم أشعر بأنني أزور الصين على الرغم من المظاهر الصينية الطاغية. والعجيب أن هونج كونج، كانت مؤجرة (تخيلوا بلداً أو جزيرة كاملة بأرضها وشعبها تؤجر من بلد إلى بلد آخر)، وكانت مدة العقد تنتهي في عام ١٩٩٧م، وانتهى العقد واستعادتها الصين، وهونج كونج موزعة بين الصين والإنجليز، فاللغة الإنجليزية شائعة كثيراً، ولكنها بدأت تفقد سيطرتها وهيمنتها إلاّ في بعض المواقع، التي يتشبث بها الإنجليز بمهارة كبرى، سأذكرها فيما بعد.

حجزت في أحد فنادق هونج كونج عن طريق الإنترنت، فإذا بالفندق يقع في الجزء الصاخب من المدينة، التي اكتشفت فيما بعد أنها تنقسم إلى قسمين: قسم راق وقسم شعبي جداً. والقسم الشعبي هو الذي يمثل روح هونج كونج الحقيقية، فضجيجها لا حدود له، فهذا الجزء

أسميته مدينة الصداع، عاصمة الضجيج الصوتي والضجيج الضوئي، ففي هونج كونج لوحات مضاءة تكفي عشر مدن أو أكثر. وفوق التلوث الصوتي والتلوث الضوئي، فلا بد أن في المدينة تلوثاً في الهواء، لكثرة السيارات والحافلات. قد تقف أمام إشارة فيمر من أمامك عشر حافلات، وكلها مليئة في بعض الأوقات.

وأردت أن يكون للزيارة بُعدٌ علمي أكاديمي بالإضافة إلى السياحة، فطلبت أن ألتقي أحد أساتذة جامعتها (العالمية بمستواها الأكاديمي والعلمي)، وهو الدكتور بيتر سوارسكي[١] Peter Swarisky رئيس برنامج الدراسات الأمريكية في جامعة هونج كونج، ولم يستجب للوهلة الأولى، وأوضح أنه لا جديد في البرنامج غير ما هو متوافر في الإنترنت، ولكني ألححت عليه فأعطاني موعداً في يوم الإثنين الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة.

وعندما حان موعد لقائي مع الدكتور بيتر في جامعة هونج كونج انتقلت بِعَبّارة إلى الشق الآخر من الجزيرة، فوجدت كأنني انتقلت من عالم إلى عالم. ففي العالم الجديد تختلف المباني وتختلف الشوارع فلا ضجيج ولا صخب، بل مبان راقية وأسواق باذخة، وخضرة طاغية (إن صح التعبير)، وكانت مباني الجامعة على قمة جبل جميلة ورائعة، فسرت في طرقات الجامعة حتى وصلت إلى مبنى

---

(١) متخصص في الأدب الأمريكي وكذلك في الثقافة الأمريكية الشعبية والأفلام الأمريكية والدراسات الاجتماعية، له العديد من المؤلفات عن الولايات المتحدة الأمريكية ومنها كتابه (كل الطرق تؤدي إلى المدينة الأمريكية ٢٠٠٧م).

كلية الآداب، حيث الدراسات الأمريكية. كنت أعتقد أنني أستطيع أن أكتب تحت أي ظرف وفي أي جو، ولكن ضجيج هونج كونج غلبني فامتنعت عن الكتابة.

وتمتاز هونج كونج بكثرة المشردين أو النائمين على الأرصفة، وهي من الظواهر الموجودة في كثير من مدن العالم، كما أن قارئي البخت والمنجمين يكثرون في هونج كونج كثرة صاعقة، وزبائنهم كثر. ويمكن للإنسان أن يتساءل: لماذا السعي إلى هؤلاء لمعرفة الغيب أو المستقبل؟ هل ثمة دراسات اجتماعية لسبب كثرة هؤلاء وكثرة زبائنهم؟ هل يعاني الناس في هونج كونج عدم الاستقرار النفسي والروحي والاجتماعي، حتى يحتاجون إلى معرفة المستقبل؟

وأما مطاعم هونج كونج فحالما تدخل المطعم يقدمون لك شراباً بين الحمرة والصفرة ربما هو الشاي الصيني، بينما في اليابان يقدمون شاياً مشابهًا، ولكن يقدمونه حسب الطلب. ووجدت أن في اليابان مكائن لبيع الشاي الحار، وفي زيارة لأحد المعاهد في اليابان لم يكن لديهم فراشون أو أحد يصنع الشاي؛ فأحضر لي المضيف علبة شاي حار، وكان طعمه عجيباً فلم أكن أتصور أن الشاي يباع معلباً كما تباع القهوة في أكواب.

وهونج كونج مدينة الليل والنهار، تبدأ المتاجر فيها متأخرة ليس قبل الساعة العاشرة، وتبقى تعمل حتى وقت متأخر، بل إن أسواق هونج كونج تصبح مضاعفة بعد الساعة الخامسة عصراً، حيث تنصب الأعمدة وتغطى بأشرعة، لأن المنطقة قريبة من الاستواء، ولديهم أمطار غزيرة

جداً، وتصبح هناك مئات من المنصات والمظلات، ويصبح السوق أربعة صفوف من المتاجر، أو ربما أكثر بالإضافة إلى المتاجر الأصلية في الأبنية والعمارات.

وتمتاز متاجر ما بعد الخامسة[1] بأنها في الغالب هي البضائع الأرخص ثمناً والمقلدة، وربما أحياناً البضائع الأصلية بأسعار خيالية. كما أن البضائع المقلدة في السوق درجات وليست كلها معروضة؛ بل يعرضون التقليد الأرخص وإن كنت تريد تقليداً أرقى فإنهم يعدونك بعد وقت معين أو يخرجون حقيبة من مكان سري، وكأن هناك ما يمنع تداول البضائع المقلدة، وفي ظني أن السلطات لا تريد أن تلقي القبض على هؤلاء، فهي تعرفهم وتعرف ما لديهم وإن كانت الشركات العالمية دائمة الشكوى من البضائع المقلدة.

زيارة جامعة هونج كونج:

عرفت أن لدى جامعة هونج كونج برنامجاً للدراسات الأمريكية، ويرأس البرنامج أستاذ من أصل كندي هو بيتر سوارسكي فاطلعت على سيرته العلمية من خلال الإنترنت، وكذلك برناج الدراسات الأمريكية، وبررت الزيارة بأنني أرأس وحدة دراسات العالم الغربي في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كما أنني مهتم بالاستشراق ومن ثم بدراسة الغرب.

---

(١) ويوجد في تايبيه مثل هذه الأسواق التي تسمى الأسواق الليلية، تستمر حتى ما بعد منتصف الليل، وربما أكثر طالما وجد الزبائن فالتجار موجودون-.

وكان مكتب سوارسكي في الطابق الثامن من كلية الآداب، فكنت هناك قبل الموعد بدقائق، وحينما حان الموعد خرج الدكتور بيتر من مكتبه فوجدني بالباب، وقال: أنت مازن مطبقاني، فقلت: نعم أنا هو، فرحب بي وجلسنا قليلاً ثم انطلقنا إلى مطعم مجاور بصحبة إحدى تلميذات الدكتور بيتر، وهي حاصلة على الماجستير في الدراسات الأمريكية من معهد كنيدي للدراسات الأمريكية في برلين. ويضم المعهد أكبر مكتبة للدراسات الأمريكية خارج أمريكا، ودار حديث طويل حول الدراسات الأمريكية، وتعجب أنه ليس عندنا في المملكة أو في العالم العربي دراسات أمريكية، فأخبرته عن مراكز الدراسات الأمريكية في الجامعة الأمريكية في القاهرة وفي بيروت بمنح من الأمير الوليد بن طلال، وأضفت: ولكنهم أمريكيون يدرسون الأمريكيين!! وأخبرته عن تجربتي في الدعوة إلى إنشاء هذه الدراسات والدراسات الإقليمية في السعودية، وكم مرة صحت بأعلى صوتي، وصرخت وناشدت وطالبت، ولكنى حتى الآن لا مجيب. وأتعجب دائماً لماذا لا تنشأ هذه الدراسات في بلادنا مع أننا نستعين بخبراء من كل حدب وصوب، ولا نسعى إلى تكوين خبراء من بلادنا في هذه المجالات [1].

وزودني في آخر اللقاء ببعض المطبوعات عن برنامجهم والمواد التي يدرسونها، وينفذ البرنامج من خلال ٢٤ ساعة معتمدة موزعة كما يأتي:

(١) أنشأ معهد الدراسات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية مركزاً للدراسات الأمريكية ولكنه ما زال في بداية الطريق.



١- أسس الدراسات الأمريكية، الجزء الأول، ست ساعات.

٢- أسس الدراسات الأمريكية الجزء الثاني.

٣- حلقة بحث متقدمة في الدراسات الأمريكية للمستوى الثالث، ست ساعات.

٤- حلقة بحث في الدراسات الأمريكية لطلاب المستوى الثالث، ست ساعات.

إضافة إلى أربع وعشرين ساعة آخرى يختارها الطالب من مجموعة من المواد منها الآتي:

- الطريق إلى الثقافة الأمريكية، ست ساعات.
- المدينة الأمريكية، ست ساعات.
- التعامل المالي مع أمريكا. ست ساعات.
- نظرات حول أمريكا. ست ساعات.
- عن التلفزيون الأمريكي والثقافة الأمريكية. ست ساعات.

ومن المواد التي تدرس واحدة بعنوان: (المجتمع الاستهلاكي) ويدرسها الباحثة التي كانت مع الدكتور بيتر في أثناء لقائي به، وقد أوضحت لها أنّ النزعة الاستهلاكية قديمة في المجتمع الأمريكي، وقد كتب عنها إريك فروم الفيلسوف وعالم الاجتماع الأمريكي الألماني الأصل Erich Fromm كتابين، وهذان الكتابان هما (الإنسان وحيداً) و(المجتمع العاقل) Man for Himself و Sane Society . وسألت الدكتور بيتر عن كتاب يصلح للترجمة في الدراسات الأمريكية، وأنني يمكن أن



أقوم بترجمته وحدي أو بالتعاون مع غيري، وأشار إلى كتاب له سيصدر فيما بعد.

وعندما أخبرني عن كثرة حضوره المؤتمرات أخبرته كذلك عن اهتمامي بالمؤتمرات، حتى إنني حضرت ثمانية مؤتمرات في عام واحد، فقال: لا أستطيع أن أصدق أنك تستطيع حضور كل هذا العدد من المؤتمرات، وأميل إلى عدم التصديق. وأضفت وكان ستة من هذه المؤتمرات التي حضرتها قدمت فيها بحوثاً.

وإلى جانب مركز الدراسات الأمريكية كان هناك قسم الدراسات اليابانية يحتل معظم هذا الطابق أو يحظى بنصيب الأسد من الكلية، ومما يؤكد ذلك أن اللوحات الإعلانية عن الدراسات اليابانية تملأ جدران الطابق، ومن المعلومات المعلّقة على الجدران معلومة عن باحث صيني نال درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد ببريطانيا، وعنوان رسالته هو «الشركات اليابانية وصلتها بالثقافة اليابانية». وقد منحت الدرجة من قسم علم الإنسان الاجتماعي، واسم الباحث (دكسون ونج هيونج واه) Dixon Wang heung Wah (البريطانيون لا يفعلونها بنا وحدنا، بل غيرنا من الشعوب أيضاً، فهذا باحث صيني من هونج كونج أراد أن يدرس اليابان فأغروه ووفروا له سبل البحث العلمي حتى قبل الانتقال للعمل لديهم، وكان من أنشطته أن قدم لهم دراسة معمّقة عن الشركات اليابانية من الداخل، حيث يقول الباحث: «لقد عملت في العديد من الشركات اليابانية، ومنها شركات لبيع الأغذية واللحوم، وتنقلت في العديد من الأقسام». وأضفت في مذكراتي حينها: لعلي

أحصل على معلومات أوسع فيما بعد. ونسيت دفتري وما كتبت، ولعل غيري ممن يطلع على هذه المذكرات أو الرحلات أن يسعى إلى معرفة المزيد عن الشركات اليابانية ودورها في نشر الثقافة اليابانية. ولكني تذكرت أنني رأيت أن شركة تويوتا لصناعة السيارات لها مؤسسة باسمها تعنى بالبحوث الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية. ولها أنشطة في ماليزيا وفي دول الجوار الياباني. فأين شركاتنا من النشاط الثقافي الحقيقي؟

لفت انتباهي في جامعة هونج كونج وفي الجامعات الغربية عموماً عناية هذه الجامعات بخريجيها، فتؤسس لهم رابطة وتتواصل معهم وتعتز بهم وتفخر كما يفخرون هم بها ويعتزون، ولمّا كان خريجو هذه الجامعة من أنحاء العالم المختلفة فقد أقاموا احتفالاً عالمياً للخريجين في الفترة من ٢-٤ نوفمبر ٢٠٠٦م. وعنوان الحفل هو:

Hong Kong University Alumni Convention

وعقد الاجتماع أو التجمع في مركز شنجهاي الدولي، وعدد المتحدثين في الحفل أربعة عشر متحدثاً، بلغ عدد الحضور ثلاثين شخصية، منهم من وصل رتبة الأستاذية، ومنهم من حصل على البكالوريوس فقط، وقد وصلوا إلى مناصب عليا، من مديرين ورؤساء شركات ورؤساء مجالس إدارة أو حتى وزراء.

ولفت انتباهي أن الجامعة نشيطة، فوجدت إعلانين أحدهما عن ندوة بعنوان: «العنف في هونج كونج»، والثاني: «محاضرة لعميد كلية العلوم

بعنوان: «فهم الكون في القرن الواحد والعشرين» والعميد متخصص في علم الفلك. والتخصص في الفلك أمر أبدع فيه المسلمون يوماً ما حينما كانوا يتطلعون إلى السماء وينظرون في الكون والكواكب.[1]

وكان ثمة نشاط ثالث بعنوان: «ندوة عن تطور الطلبة من قبل طلاب الجامعة». وكان ذلك يوم ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م، وهناك إعلان عن إنشاء مركز التطوير والموارد للطلاب، وهذا المركز جاء لدمج عدد من الهيئات المتخصصة في شؤون الطلاب.

وفي أثناء تجوالي في الجامعة وجدت نشرة بعنوان: «حوار» تناولت في مقالتها الافتتاحية العام الجديد وترحيب نائب المستشار أو رئيس الجامعة بالطلاب الجدد. وقد قال في كلمته: إن جامعة هونج كونج لديها روابط وعلاقات بأكثر من أربعمائة جامعة حول العالم، وبرنامج تبادل الطلاب يضم أكثر من مائة وخمسين جامعة في عشرين دولة. وركز المستشار أو الرئيس على العلاقات الدولية والمواطنة العولمية، وأن الجامعات تضم عدداً كبيراً من الطلاب الأجانب بلغت نسبتهم خمسة عشر في المائة (١٥٪).

وتحدث وزير العدل في الحفل (بداية العام الدراسي) مناشداً الطلاب أن تكون طموحاتهم كبيرة (ليس الحصول على وظيفة وسد

---

(١) ولذلك أعجبني ابني هاشم ابن الخمس سنوات (يوم ٥ شعبان ١٤٣٠هـ أتم السنة الخامسة) حفظ قصة المجموعة الشمسية، وأعدت أمه القصة له في برنامج بور بوينت (Power Point) وانطلق أمام زملائه في أثناء العام الدراسي (لم يكن أكمل الخامسة) فقص عليهم قصة المجموعة الشمسية وكواكبها المختلفة وصفة كل كوكب وعدد الأقمار التي تدور في فلكه وترتيبه في المجموعة الشمسية وأبرز خصائص الكوكب من حيث الحجم والحرارة.

الرمق)، وأن يفكروا بعمق، ونبه إلى خطورة الإنترنت، وألا يكتفوا بالتلقي، بل عليهم تحليل ما يحصلون عليه من معلومات.

كما حضرت في الجامعة الاحتفال بمرور خمسين سنة على تأسيس دار نشر جامعة هونج كونج، حيث تأسست الدار عام ١٩٥٦م. ولاحظت وجود عدد كبير من البريطانيين يديرون هذه المؤسسة. وأُلقِيَتْ عدة كلمات من شخصيات ومسؤولين صينيين من أصل صيني وصينيين من أصل بريطاني، وكان الاحتفال باللغة الإنجليزية؛ حيث إن لغة التعليم الأساس هي اللغة الإنجليزية، وكانت المطبوعات المعروضة مطبوعات باللغة الإنجليزية. ولابد أن عودة هونج كونج إلى الصين جعلتهم يختارون قضايا صينية وشخصيات صينية للكتابة عنها والتأليف.

وقد لاحظت أن دور نشر الجامعات الكبرى في الغرب وفي هونج كونج تقوم بدور كبير في نشر المعرفة، كما أنها ناجحة تجارياً، فليست عالة على الجامعة ينفق عليها لتخسر وتخسر، أو لتطبع كتباً لا لتوزع تجارياً بل لتهدى لمن لا يقرأها أو لمن يضعها زينة في مكتباته. وكنت أمر على مبنى ضخم لدار نشر جامعة أكسفورد التي تطبع كتبها في العديد من المدن في العالم، ولها إدارة مستقلة تسير بمعايير علمية صارمة، فلا تطبع مجاملة ولا توزع مجاملة. حتى إننا في عالمنا العربي لم نسمع بدار نشر جامعية تنافس دور النشر التجارية. وبعد ذلك تشتكي الجامعات عندنا من ضعف التمويل وقلة الموارد، وكأن أحداً يمنعهم من أن يوسعوا مواردهم. فقد أنشأت كثير من الجامعات الغربية أقساماً للاستثمار، وشجعت الطلاب على أن يعملوا في هذه الأقسام. وقد قرأت في أحد

المنتديات عن طالب سعودي يترأس فريق الاستثمار في جامعته. وقد نزلت في فندق في مدينة نيويورك، فعرفت أن الجامعة تملك أسهماً في ذلك الفندق.

ولهونج كونج مطار عالمي بنته الحكومة البريطانية التي كانت تستأجر الجزيرة قبل مغادرتها، وأخبرني سائق من أصل أفغاني أن البريطانيين أنشأوا هذا المطار وكل معداته وأدواته وآلاته وأجهزته مستوردة من بريطانيا، حتى يظل المطار بحاجة إلى الإنجليز لاستمرار تشغيله، وإلاّ فإنه في نظره لم تكن الجزيرة بحاجة إلى هذا المطار. ومهما كان رأي السائق ففي يوم مغادرتنا هونج كونج كانت رحلتنا تنطلق من البوابة ٦٥، وقبل الإقلاع بوقت قصير تغيرت البوابة إلى رقم ١، وكنت في مكان وكانت زوجتي في مكان آخر، ولم تعرف عن تغير البوابة فوجدنا صعوبة في الالتقاء والركض حتى نصل إلى البوابة الجديدة قبل السفر. وكان من الطريف أن خطوط كاثي باسيفك الصينية (من هونج كونج) تنقل عدداً كبيراً من الخادمات من إندونيسيا إلى المملكة عن طريق هونج كونج، وهذا ما يتعارف عليه في عالم الطيران الذي عملت فيه أكثر من ثنتي عشرة سنة أنه سرقة للركاب أو العمل بما يسمى الحرية السادسة، ولكن هذه شطارة شركات الطيران في جذب الركاب من كل أنحاء العالم.

استمتعت بهونج كونج على الرغم من الضجيج واستمتعت بأسواقها المفتوحة وبخاصة الأسواق الليلة،-تنتشر هذه الأسواق الليلية ليس في هونج كونج وحدها، بل هي متوافرة أيضاً في تايوان، وربما حتى في

الصين الشعبية أو الصين الأم- وإن لم يعجبني الطعام فيها، ولكني كنت أتعجب من السياح الأجانب من الأوروبيين والأمريكيين أو كما تسميهم زوجتي خديجة بني الأصفر، يجلسون في المقاهي الشعبية يأكلون الأطعمة البحرية ذات الروائح النفاذة، وهذه الأطعمة منها الضفادع والخنافس البحرية والقواقع وكل حشرات البحر بمناظر عجيبة لا تشجع على الأكل، ولكن سبحان مقسّم الأذواق.

وتنتشر في شوارع هونج كونج الشعبية متاجر الأعشاب والعطارة، وكأن الناس لا يستطيعون العيش دون هذه المواد، وتكاد هذه المتاجر تكون من سمات الحياة في الشرق الآسيوي في اليابان وفي ماليزيا وفي هونج كونج وفي الصين. وقد بلغتنا حمى هذه الأعشاب والعطارة في عالمنا العربي على الرغم من أن شعوب الأرض قاطبة تتوق إلى الأرض التي منها خلقنا نحب أعشابها ونباتاتها.

وفي نهاية الزيارة قررت ألا أعود سائحاً إلى هونج كونج أو لا أسكن في المنطقة التي سكنت فيها، وإنما سأختار الشاطئ الثاني من الجزيرة حيث الهدوء والطبيعة الخلابة.

☼

الرحلة إلى ماليزيا

كيف سافرت إلى ماليزيا؟

عرفت ماليزيا قبل أن أصل إليها؛ حدث في الفترة التي تم تحويلي فيها من التدريس إلى العمل الإداري في بداية حياتي الأكاديمية، (رفضت قائلاً: إن العقد الذي بيني وبين الجامعة أن أكون أستاذا معلماً وليس إدارياً، وتمسكت بموقفي حتى نهاية تلك الفترة- وفي تلك الفترة العصيبة حدثت أمور كثيرة، منها أنني تعرفت إلى بعض الأساتذة من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، فأخبرتهم أنني أبحث عن مكان أعمل فيه، فأخبرني أستاذ التاريخ بالجامعة وهو مسلم أمريكي الجنسية من أصل بولندي: أنه سيسعى للحصول على عقد عمل لي في الجامعة، رغم معرفته بأن مدير الجامعة قد لا يرغب في أن يعمل أحد من السعودية. ولكن عقب أشهر وصلني عقد عمل مبدئي وطلبت الجامعة حضوري خلال أسبوعين، ولكن دون تفاصيل العقد. ونظراً لصعوبة انتقالي وأولادي في هذه المدة القصيرة لم أتمكن من الذهاب.

بعد أن عدت إلى التدريس تسلمت خطاباً من المعهد الدولي لوحدة الأمة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور بماليزيا أشير

فيه إلى عزم المعهد عقد مؤتمر حول العالم الإسلامي والغرب: الحواجز والجسور، يهدف المؤتمر إلى ما يأتي (حسب نشرة الجامعة).

- التشخيص العلمي الدقيق للحواجز الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية كافة بين العالم الإسلامي والغرب.
- مناقشة الحواجز والجسور بين العالم الإسلامي والغرب من النواحي الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.
- التشديد على ضرورة وأهمية التعاون والتواصل والتكامل بين العالم الإسلامي والغرب.
- تسليط الضوء على مجالات التواصل والتعاون البناء بين العالم الإسلامي والغرب.
- اقتراح آليات ووسائل عملية قادرة على إزالة الحواجز وبناء الجسور.
- اقتراح ضمان استمرارية الحوار بين المفكرين وصناع القرار من العالَمَيْن قصد الحيلولة دون توسع الحواجز وتعميق الخلافات.

وكانت المحاور المطروحة هي:

- الحواجز السياسية والاقتصادية بين العالم الإسلامي والغرب وطرق إزالتها.
- الحواجز الاجتماعية والثقافية بين العالم الإسلامي والغرب وطرق إزالتها.
- دور المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي والغرب في إيجاد الحواجز وبناء الجسور.

- دور المؤسسات التربوية في العالم الإسلامي والغرب في إيجاد الحواجز وبناء الجسور.
- دور وسائل الإعلام في العالم الإسلامي والغرب في إيجاد الحواجز وبناء الجسور.
- دور المسلمين في الغرب في إيجاد الحواجز وبناء الجسور.
- الأحداث السياسية العالمية وأثرها في المجتمعات الإسلامية في الغرب.
- قضايا ومشكلات المجتمعات المسلمة في الغرب، كمشكلة الثقافة، والأعراف، والمواطنة، والتكامل، والذوبان، والتفرق، والوحدة.

وبدأت المراسلة مع الجامعة وحصلت على الموافقة على تقديم بحثي المعنون: (المؤتمرات العلمية الغربية وأثرها في الحوار بين العالم الإسلامي والغرب). كما تقدمت بطلب الإذن من جامعة الملك سعود، وأحمد الله أنني حصلت على الموافقة من الجهتين، وتقدمت ببحث ملخصه أن الجامعات والمؤسسات والهيئات العلمية في الغرب والشرق دأبت على عقد مؤتمرات حول قضايا العالم الإسلامي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، يدعى للمشاركة فيها متخصصون في هذه المجالات. ويحضر هذه المؤتمرات ممثلون عن الحكومات الغربية وبخاصة وزارات الخارجية أو الاستخبارات. كما تقدم تقارير عن مضمون هذه المؤتمرات والندوات إلى صنّاع القرار في العالم الغربي.

ولكن نسبة كبيرة من هذه المؤتمرات لا ينطبق عليها المعايير العلمية الدقيقة من دعوة المتخصصين أو الأقرب إلى التخصص، كما أن

المشاركين يمثلون وجهة نظر معنية أو تغلب أحادية النظرة على هذه المؤتمرات. أو أن هذه المؤتمرات نظمت لتحقيق هدف معين غير الهدف المعلن ومن ذلك ما كتبه الدكتور حسن عزوزي بأن هذه المؤتمرات هدفها أن يكون الحوار بين المسلمين والغرب وفقاً لرؤيته وعلى أساس شروطه ووفق خياراته الإستراتيجية.

ومن الأمثلة على هذه المؤتمرات التي تفتقد إلى التوازن الحقيقي في وجهات النظر بعض المؤتمرات التي اشتركت فيها هيئة الإذاعة البريطانية مع المعهد الملكي للدراسات الدولية بلندن حول العلاقات العربية الأوروبية، وكان معظم الحضور من الجانب العربي من المتغربين أو العلمانيين أو الليبراليين الذين لا تختلف وجهات نظرهم في الغالب عن وجهات نظر الأوروبيين المشاركين في هذه الندوات، حتى إذا كتبت إلى هيئة الإذاعة البريطانية منبهاً لهذا الأمر تجاهلوا رسالتي ولم يردوا عليها، كما أنهم لم يرسلوا لي البحوث التي قدمت عندما طلبتها منهم. وهذا ما كتبه الدكتور حسن عزوزي: «يسعى المنظمون الغربيون دوماً إلى انتقاء بعض الباحثين المسلمين ذوي النزعات العلمانية والأفكار المنحرفة، ويستدعونهم للمشاركة علماً منهم بأنهم يحققون لهم كثيراً من المطالب والأهداف ويتنازلون لهم عن مبادئهم الدينية» «الإسلام والغرب..أي حوار؟ (المسلمون ٢٧ محرم ١٤١٩هـ/٢٣مايو ١٩٩٨م).

وقدمت في بحثي في هذا المؤتمر استعراضاً لعدد من المؤتمرات التي عقدت في الغرب أو عقدت في بعض البلدان العربية الإسلامية بدعم من مؤسسات وهيئات غربية ويقدم لها نقداً من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: موضوعات المؤتمرات وتخصصاتها

المحور الثاني: تحليل نقدي لنماذج من البحوث المقدمة

المحور الثالث: تحليل نقدي لنماذج من المشاركين

هذه معلومات أولية أو تقدمة لحديثي عن ماليزيا، فإلى الحلقة الثانية.

ما ماليزيا ؟

ما ماليزيا؟ ماذا في ذهني عن هذا البلد؟

تتكون ماليزيا من عدة ولايات وعدد سكانها خمسة وعشرون مليوناً، منهم ٥٨٪ مالاويون و٢٦٪ من أصل صيني، و٨٪ من أصل هندي. وهي بلد سياحي تتوافر فيه المرافق السياحية والمناظر الطبيعية من أنهار وخضرة وغابات. ويقدمون للسياح ما يشاؤون من خمور، ولكن لا أعرف القانون الخاص بهذا الأمر، فهي تباع في المحال الكبرى، ويعلن عن بعض أنواع البيرة في الصحف الماليزية التي تصدر باللغة الإنجليزية. ومما يجذب السياحة قضية الجنس، وإن لم تكن الإعلانات عنها صريحة، فقد تكون معلنة عن طرق أخرى، لا أحب أن أفصل فيها.

والزائر لكوالالمبور لأول مرة يذهله العدد الضخم من البنايات الشاهقة، أو ما كان يسمى ناطحات السحاب. فنحن في الرياض لدينا بنايتان من هذا النوع، وهما أقل كثيراً في الارتفاع من المباني الماليزية، وهذا يدل على أن لديهم ثروة ضخمة، هناك ضرائب على الطعام وعلى

بعض المشتريات، ولكنها ليست ضرائب كبيرة، كما أن شوارع المدينة نظيفة جداً. وفي كوالالمبور شبكة مواصلات عامة ممتازة، فهناك القطارات، وقطارات الأنفاق، والقطارات العلوية (ذات الخط الواحد)، وهناك الحافلات، وسيارات التاكسي، وأجور المواصلات العامة رخيصة جداً. فيمكن للإنسان أن يسير مسافة ساعة بالقطار بأجرة لا تزيد على أربع رنجات (أربعة ريالات تقريباً). وربما انخفاض هذه الأجور لتيسر للناس الانتقال بسهولة ويسر مع الإبقاء على الأجور منخفضة، وهذا ما يوفر لماليزيا جواً مناسباً للاستثمارات الأجنبية (ويجب أن نحذر من الاستثمارات الأجنبية. فالقضية أكبر من مجرد توفير بضع مئات من الوظائف وبعض الدخل للبلاد فهي قضية أكبر).

كانت زيارتي الأولى لهذه الدولة لحضور مؤتمر بعنوان (العالم الإسلامي والغرب: الحواجز والجسور) دعت إليه الجامعة الإسلامية العالمية ، فتقدمت بورقة حول المؤتمرات الغربية حول الإسلام والمسلمين، وكانت الجامعة حريصة على دعوة عدد من أصحاب المناصب المهمة في البلاد العربية وبخاصة الدول الخليجية، فمن وكيل وزارة الأوقاف في الكويت إلى وكيل وزارة الأوقاف في عمان، إلى مستشار رئيس جامعة الإمارات، والأمين العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ووكيل جامعة أم القرى، وأمين عام المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية في السعودية. وكان هناك اهتمام خاص بهم، وترشيح بعضهم لرئاسة بعض الجلسات، مع أن هذا الأمر ما كان ينبغي، فوصول هؤلاء إلى هذه المناصب ليس مرتبطاً بمكانتهم العلمية، وإن كان لبعضهم مكانة

علمية بارزة مثل الدكتور سعيد بن حارب المهيري والدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، وهذا التقليد ليس موجوداً في الجامعات الغربية، حيث يقدم لرئاسة الجلسات الأكثر إنتاجاً علمياً أو صاحب فكرة حلقة البحث أو غير ذلك.

كان الافتتاح فرصة لتقديم بعض الكلمات الافتتاحية التي كان الحديث فيها عن أهمية بناء الجسور مع الغرب وإزالة الحواجز وغير ذلك من الحديث، الذي يميل إلى التهدئة دون الحديث عن العيوب الحقيقية في علاقة العالم الإسلامي مع الغرب كما هي حالياً. ولكن كلمة رئيس المجلس الأعلى للجامعة ورئيس المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية بماليزيا قوية ومتزنة في تشخيص حالة العالم اليوم بعد أن تسبب الغرب في حربين عالميتين، ثم ما قام به من حروب أخرى هنا وهناك. وإن العالم لم يعد واحة للسلام والاستقرار كما يزعم الغرب أنه يريده. وكان مما قاله: «إن الانتصار الباهر الفجائي للغرب الرأسمالي في حربه الباردة ضد الشرق الشيوعي جعل كثيراً من البلهاء وأصحاب النوايا الصافية الصادقة يحلمون بأن العالم سيغدو أكثر أمناً واستقراراً وأماناً من أي وقت مضى.... بيد أنه مما يؤسف له أن العالم أمسى بعد أقل أمناً وأكثر بلبلة واضطراباً، كما بات أكثر رفضاً لقيم الديمقراطية الليبرالية.

ومع ذلك، فإن انهيار عملية السلام في الشرق الأوسط، وإنكار حق الشعوب في تقرير مصيرها في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، يظهر ان لنا أن الدروس التي كان ينبغي تعلمها من الحربين العالميتين قد نسيت من

قبل بعض الدول الكبرى في الغرب. ومن ثم قاد هذا إلى نمو عدم الثقة والكراهية بين العالم الإسلامي والغرب.... ومن ثم فإن الشكوك المتزايدة باستمرار بين العالم الإسلامي والغرب تزيد الفجوة اتساعاً، وترفع الحواجز إلى ارتفاعات أعلى وأعلى.

وتحدث أيضاً مدير الجامعة عن مسألة صدام الحضارات، الفكرة التي نبعت في الغرب وانتشرت في العالم، وروجت لها أنظمة غربية. وقد ركز مدير الجامعة على دور الجامعات في العالم، ودعا إلى قيام حوار جاد لزيادة التفاهم المشترك والتعاون وتنمية الثقة المتبادلة بين الحضارتين العظيمتين، وإيجاد المناخ الملائم لاستخدامها لتحقيق السلام والتفاهم والتعاون بين العالم الإسلامي والغرب.

كما عقدت جلسة حضرها عدد من السفراء الأجانب للحديث عن التعاون وبناء الجسور، وقد غلب عليها الجانب الدبلوماسي أكثر من الحوار العلمي المفتوح؛ وبخاصة أنها كانت باللغة الإنجليزية. وقد اشتكى الكثيرون من رداءة الترجمة.

وابتدأ البرنامج في اليوم الثاني بمحاضرة للدكتور عبد العزيز ابن عثمان التويجري الأمين العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي) في الرباط بالمغرب. وقد احتوت الكلمة على أفكار جريئة بعيدة عن الدبلوماسية التي يفرضها عليه منصبه. فقد تناول كثيراً من القضايا التي تؤكد أن العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب ليست على ما يرام، ويكفي للتدليل على ذلك أن العالم كان كله ينادي بأن توقف إسرائيل هجومها الوحشي على

لبنان، بينما تماطل أمريكا وبريطانيا، في مسألة إصدار قرار من الأمم المتحدة بذلك، وكأنهما كانا يقولان إسرائيل لم ترو دماً ولم تشبع دماراً في لبنان، طفلنا المدلل دعوه يضرب كما يشاء. وقال الدكتور التويجري كلاماً جيداً حول كثير من القضايا.



كلمة حق للدكتور التويجري في المؤتمر

تحدث الدكتور عبد العزيز التويجري حديثاً مفعماً بالعواطف والأحاسيس مع الاهتمام بجانب المنطق والعقل، وكان مما تناوله ما يحدث للمسلمين في العراق وأفغانستان، وأن الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة بوش، وبريطانيا بقيادة توني بلير، شنا حربين على بلدين إسلاميين، إحداهما بحجة القضاء على طالبان، والثانية بحجة وجود أسلحة الدمار الشامل التي لم يكن لها وجود مطلقاً في العراق. وتحدث عن جهود الحكومات الغربية في بيع السلاح للدول العربية بمليارات الدولارات، وتبقى هذه الأسلحة مكدسة حتى تصبح خردة. وذكر الدكتور عبد العزيز بعض الرؤساء الغربيين الذين يسعون إلى التقارب بين العالم الإسلامي والغرب، وذكر منهم الرئيس شيراك. وكم كنت أود لو لم يذكر هذا الرئيس أو سواه بالاسم، فحين يتحدث عن موقف أمريكا وحربها على العراق وأفغانستان ودعمها لإسرائيل فالأمر ينصرف مباشرة إلى الرئيس بوش وتابعه توني بلير، الذي بدأ يواجه استياءً كبيراً في داخل بريطانيا من سياسة التبعية لأمريكا،

ولكني فهمت من بعض المسؤولين والعارفين بالسياسة البريطانية أن بريطانيا مجبرة إلى حد ما على اتباع هذه السياسة.

وما إن أنهى الدكتور عبد العزيز حديثه حتى قام شاب عربي يقيم في أمريكا ومن الجيل الثاني هناك، وتحدث بكلام قاس بدأه بالآية الكريمة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ..﴾ الآية: ولم يقرأ الآية من أولها فبدأ ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ﴾ وقال كلاماً شديداً حول الذين يشككون في مواقف أبناء المسلمين في الغرب، الذين انسلخ كثير منهم عن هويتهم. ولقيت هذا الشاب وأخبرته أنه ليس من خلق المسلم أن يكون لعاناً ولا سباباً وفاحشاً، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكن شتاماً ولا لعّانا ولا فاحشاً. واعترف بخطئه ووعد بأن يراجع نفسه.

من اللافت للانتباه أن عدد البحوث المقدمة للمؤتمر زادت على المائة بحث، كان من بينها بحوث مكررة وبحوث أخرى ضعيفة يبدو أنها لم تحكم تحكيماً علمياً صارماً.

المهم مضت أيام المؤتمر بخيرها وشرها، وشاب المؤتمر سوء في التنظيم، حتى إن أحد الباحثين اعترض على وجود قاعتين: إحداهما مخصصة لأصحاب الأسماء اللامعة، والقاعة الأخرى للمساكين المغمورين من الباحثين!! وأصر أنه ليس من الإنصاف توزيع المحاضرات بمثل هذا الشكل، صحيح أنني لم أكن معه في مثل هذا الأمر والباحث الجيد يثبت وجوده في أي قاعة كان، حتى لو ألقى بحثه على سلّم المبنى أو على العتبة أو في أي مكان، ولكن لعل معه حق. فكما قلت في التقديم كان هناك عناية بأصحاب المناصب حتى لو كان في الحضور من هم أعلم

منهم. وهنا ارتكب المنظمون خطأً كبيراً بأن دمجوا القاعتين في قاعة واحدة، وألغوا جلسات القاعة الثانية، فصار في كل جلسة من الجلسات الأربع الأخيرة ما بين عشرة أبحاث إلى أربعة عشر بحثاً. ولما جاء دوري في إلقاء بحثي بدأت بالاعتراض على قرار دمج القاعتين، وأشرت إلى أنه لم يكن قراراً صائباً، فورقتي كانت في القاعة الثانية (الدرجة الثانية!). وكان ترتيبي الثاني في الإلقاء، ثم أصبحت بعد التعديل السادس، وهذا يعني أن عليّ أن أبذل جهداً مضاعفاً لإقناع الجمهور بالاستماع إليّ، فماذا يكون لدى الإنسان من طاقة بعد أن يسمع خمس ورقات؟ ثم قلت: إن أهمية المؤتمرات تكمن في مناقشة البحوث وليس في سردها بسرعة البرق. أو أن يكون بعض المتحدثين صوته عالياً، فيسكت الرئيس المسكين حتى يتجاوز وقته، وكأن الدرر التي يقولها لابد أن يستمع إليها الآخرون، حتى لو كانت مجرد ضجيج في صورة كلمات وجمل.

أعود إلى المؤتمر لأقول كلمة عن الجسور والعوائق بيننا وبين الغرب متسائلاً: هل صحيح أننا نستطيع أن نبني جسوراً ونهدم الحواجز؟ هذا الغرب أو الشمال الذي لا يتجاوز تعداده عشرين بالمائة من سكان العالم، ويستولي على ثمانين بالمائة من ثروات العالم، هذا الغرب أو الشمال يستهلك ثمانين بالمائة من خيرات الأرض، هذا الغرب الذي يجيع شعوب الأرض ويطبق عليها سياسة (جوّع كلبك يتبعك)، ويحذر من أن كلبك إن شبع أكلك، أو عضك، هل صحيح أننا يمكن أن نتفاهم مع الغرب؟

أذكر رسالة للمندوب الأمريكي في منطقة الخليج إلى سلطان عُمان ذات يوم ليس بالبعيد، يقول له فيها: علمت أنك منعت المبشرين أو

المنصرين من العمل في مناطق معينة من السلطنة، فإن وصلك كتابي فاسمح لهم في جميع أرجاء السلطنة. فإذا كان هذا المندوب الأمريكي قبل سبعين أو ثمانين سنة يستطيع أن يأمر سلطان دولة أن تفتح أراضيها كلها لرجال التنصير، فهم اليوم أشد وقاحة وعنفاً وتجبراً وكبرياءً وجبروتاً. رئيس دولة رأى في بلد عربي شركة أمريكية واحدة لنقل الطرود (دي إتش إل) فقال: لماذا لا تسمحوا لبقية الشركات فرحبت بهم جميعاً تلك الدولة، فأفادوا وأفادوا وأفادوا (حصلت لهم هم الفائدة، هذه هي الصياغة العربية الفصيحة)، وأفاد بعض أهل تلك البلاد.



ختام المؤتمر وأشياء أخرى

وفي اليوم الثاني من أيام المؤتمر وزعوا ورقة بيضاء لكتابة التوصيات المقترحة، وقدمت توصيات منها: أهمية إنشاء أقسام دراسات الأقاليم ودراسات الغرب بصورة خاصة، ودعم إنشاء كليات الدراسات الأوروبية والأمريكية، وربما شاركني غيري في هذه التوصيات، فكانت هذه التوصيات ضمن التوصيات التي لم تتح الفرصة لمناقشتها، ويسرني هنا أن أثبت هذه التوصيات لأهميتها:

التوصية الأولى: على الجامعات والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي إدخال مقررات وتخصصات تعنى بدراسة الغرب ثقافةً، وديانةً، وحضارةً وأنظمةً ومصالحَ وتاريخاً، وحاضراً ومستقبلاً من أجل:

- إيجاد ثقافة علمية تقوم على الفهم الشامل للمسألة الغربية، وإنتاج الأعمال والمفكرين القادرين على فهم الغرب، وتقديم الاقتراحات لسبل التعامل معه سعياً إلى بناء جسور للتفاهم والتواصل وإزالة الحواجز بين العالم الإسلامي والغرب، ويؤمل أن تكون نتائج دراسة أولئك المفكرين

المتمكنين من فهم الغرب أسسًا يعتمد عليها صناع القرار في العالم الإسلامي عند التعامل مع الغرب.

التوصية الثانية: ضرورة التواصل مع المفكرين الغربيين المنصفين المؤثرين من خلال دراسات مشتركة تهدف إلى التفاهم المتبادل والتعاون الدائم بين العالم الإسلامي والغرب أملاً في تحقيق سلام عادل واستقرار عميق للبشرية جمعاء.

التوصية الثالثة: تشجيع المؤسسات والمراكز والهيئات الفكرية التي تعنى بتقديم الدراسات والأبحاث الجادة عن الغرب والحوار المنشود بين العالم الإسلامي والغرب.

التوصية الرابعة: تكوين جمعية للعلماء والمفكرين المسلمين المهتمين بدراسة الغرب دراسة موضوعية شاملة.

وفي الجلسة الختامية قدموا لنا عرضاً حول الجامعة وأقسامها المختلفة، وهو دعاية أعتقد أنها مكررة لما قدم في اليوم الأول، حتى إذا صاح أحد الإخوة: هل يمكن مناقشة التوصيات؟ فقيل له: اتصل باللجنة المنظمة، وكان الأولى بدلاً من العرض الفني أن يكون هناك بعض النقاش، فالتوصيات تعبر عن جميع المؤتمرين وليس عن اللجنة المنظمة التي يبدو لي أو تأكد لي أنها استبدت بالرأي، فمنعت النقاش. وقديماً قيل: إنما العاجز من لا يستبد. وهذه المقولة جزء من كلام عمر ابن أبي ربيعة شاعر الغزل المشهور، الذي قال:

زعموها سألت جاراتها وتعرت ذات يوم تبترد

ثم قال:

واستبدت إنما العاجز من لا يستبد

وفي القصيدة أيضاً يقول:

وقديما كان في الناس الحسد

وكأن الشاعر الجاهلي أدرك مسألة الظلم والاستبداد حين قال:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

زيارة الجامعة الوطنية الماليزية

ولقد كان من أنشطتي في كوالالمبور أن زرت الجامعة الوطنية، لأتعرف على معهد الدراسات الغربية، الذي أعلن عن تأسيسه عام ٢٠٠٣م، وهو برئاسة البروفيسور شمس العمري بهار الدين الذي أعلن أيضاً أنه سيكون في المعهد كرسي إدوارد سعيد للدراسات الغربية، ونشر بهار الدين مقالة عن إدوارد سعيد أطلق عليه فيها (إدوارد سعيد مستغرب بامتياز). ولما كان البروفيسور شمس العمري مشغولاً باجتماع فقد حصلت على موعد معه ليوم الثلاثاء (قبل عودتي بيوم)، وتم اللقاء وعرفت لمَ تأخر تنفيذ مشروع المعهد، ولكنه أخيراً حصل على منحة كبيرة من الحكومة الماليزية لبدء أنشطته. ومن ذلك تعيين نائب لمدير المعهد هو الأستاذ المشارك نور الدين، وباحث متفرغ من هولندا وموظفة إدارية، وسيكون من أبرز أنشطة المعهد رعاية طلاب ماجستير ودكتوراه، ليدرسوا الغرب وتتاح لهم الفرصة للسفر إلى هناك، بدلاً من العيش في الغرب مدة طويلة مما يزيد تكاليف الدراسة.

هذا وقد رعى المعهد مع عدد من المؤسسات والهيئات الماليزية مثل معهد دراسات العالم المالاوي والحضارة والمعهد الدولي للدراسات الآسيوية (بهولندا) المؤتمر العالمي الخامس حول الدراسات الآسيوية بعنوان: (تقاسم المستقبل في آسيا)، وهو المؤتمر الخامس للمؤتمر العالمي لعلماء آسيا، الذي عقد المؤتمر الأول منه في ليدن عام ١٩٩٨م والثاني في برلين عام ٢٠٠٠م، والثالث في سنغافورة عام ٢٠٠٣م، والرابع في شنغهاي بالصين عام ٢٠٠٥، والخامس سيعقد في ماليزيا في الفترة من ٢-٥ أغسطس ٢٠٠٧م. وسيناقش المؤتمر المحاور الآتية:

- الفنون والثقافة والتراث.
- التطور والمدن.
- التوثيق وإدارة المصادر والتقنية.
- الاقتصاد والتجارة والقانون.
- البيئة والطاقة.
- التاريخ.
- المعرفة والفلسفة.
- اللغة والآداب.
- الإعلام والاتصال.
- السياسة والعلاقات الدولية.
- الدين.
- المجتمع والهوية.
- الرعاية الاجتماعية والصحة.

وأعود إلى الحديث عن ماليزيا، فهذه البلاد التي استطاعت أن تخطو خطوات جبارة نحو التقدم، لابد أن أهم مقومات هذا التقدم هو العناية بالعلم، وأتساءل هل كان لماليزيا أن تتقدم لو لم تهتم بالعلم ولم يرتفع الجهل؟ وليس العلم بالطبع هو القضاء على الأمية فحسب، ولكن دعم البحث العلمي حقيقة واستقلال التعليم العالي. وهل كان التخطيط العمراني والإبداع الاقتصادي إلاّ ثمرة من ثمار البحث العلمي والإبداع؟

استطاعت ماليزيا في يوم الخميس الثامن عشر من شهر أبريل ١٩٨٢ أن تنجز صناعة أول سيارة، وأصبحت السيارات الماليزية تغطي نحو ثمانين في المائة من احتياجات السوق الماليزية. والحديث اليوم في وسائل الإعلام الماليزية: متى نستطيع أن نخرج من السوق الماليزية والاكتفاء المحلي إلى الأسواق العالمية؟ هناك تخوف من أن صناعة السيارات الصينية ستغزو أسواق العالم، فهل يكون للسيارات الماليزية نصيب من هذه الأسواق؟ ويحق لنا أن نسأل هل لدينا مفكرون اقتصاديون وعلماء سياسيون يفكرون أننا في سنة كذا ستكون لدينا سيارة سعودية مائة بالمائة أو ثمانين بالمائة؟

كتب عبد الله باجبير ذات يوم عن صناعة السيارات في مصر، وقال: إنها بدأت قبل أكثر من خمسين أو ستين سنة، ومازالت السيارة المصرية تعتمد على أجزاء مهمة مستوردة، فلماذا لا تصبح مصرية مائة بالمائة؟ وفي سورية الذين يستطيعون أن يجعلوا سيارات الخمسينيات تعمل بكفاءة بتصنيع قطع الغيار، لماذا لا يفكرون في صناعتها بالكامل؟ وأعتقد أن لديهم القدرات الفنية والعلمية.

ومازلت أذكر أنني مررت بمجمع صناعي في تونس كان مقرراً أن يكون لتجميع سيارة فرنسية ولكنه أغلق، فقال: ذاك قرار سياسي، وعرفت أن الذي يريد سيارة فرنسية يدفع قيمتها كاملة، وينتظر أشهر قبل أن يتسلم السيارة، والوكيل (العظيم) يكون قد حقق أرباحاً من تلك الأموال بتشغيلها بكافة الوسائل، قبل أن يتسلم المواطن المسكين سيارته. كما أذكر أنه في سوريا كذلك عندما اشتريت عام ١٣٩٥هـ(١٩٧٥) سيارة فولكس واجن بسبعة آلاف ريال اشتراها مواطن سوري بخمسة وثلاثين ألف ريال، وكان قد سدد قيمتها على عدة أشهر قبل ذلك، حتى إذا حان موعد تسليمها قام بذبح خروف وإقامة حفلة كبرى. فيا للعجب ويا للعجب!!!

وفي أثناء زيارتي لماليزيا اطلعت على عدد من الصحف الماليزية التي تصدر باللغة الإنجليزية، وتعرفت على أبرز القضايا التي تناقشها هذه الصحف، وكيف تتفاعل الحكومة مع انتقادات الصحف. وكان من هذه القضايا: ارتفاع معدل الجريمة، تعيين مدير عام للأمن، انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية، السياحة الجنسية في إندونيسيا، دعم وزير التربية والتعليم لعدد من المدارس الأجنبية مثل مدرسة سينت جيمس (القديس جيمس) وفيكتوريا وغيرهما. ومن القضايا جرائم الاغتصاب، وجرائم اللواط بالنساء واللواط بالأولاد، وانتشار السرقة وبخاصة في المجمعات السكنية الكبرى، وسرقات النشل التي يرتكبها سائقو الدراجات النارية. وهذه التفاصيل سأنقلها لكم إن شاء الله في الصفحات القادمة.

الصحافة الماليزية

وعدت في الصفحات السابقة أن أنقل لكم بعض ما تنشره صحف ماليزية تصدر باللغة الإنجليزية، وفيما يأتي بعض هذه الموضوعات:

الأبراج السكنية تصبح غير آمنة:

التقيت في هذا المؤتمر بأحد طلابي الذين حصلوا على الدكتوراه من الجامعة الوطنية الماليزية في مجال الاستشراق، وقد جاء إليها لحضور المؤتمر وحدثني عن السكن في الأبراج السكنية، وأخذ يمتدح هذه الأبراج ورخصها والمرافق المتوافرة للسكان فيها من أسواق وأمن وحمام سباحة وغير ذلك، وبعد يومين فوجئت بالصحف الماليزية تتحدث عن فقدان الأمن في هذه الأبراج، وتحدثت الصحيفة مع عدد من السكان الذين سرقت بيوتهم أو شققهم في أثناء غيابهم، ويوجهون الاتهام إلى الشركات الأمنية التي من المفترض أن تحمي الأمن، فإذ بها تصبح المتهمة. ويقولون: إن العاملين في هذه الشركات هم الوحيدون الذين يعلمون أن الساكن موجود أو مسافر.

المدرسون والدروس الخصوصية:

نشرت إحدى الصحف تقريراً عن بعض المدرسين أنهم يتقاضون ما يصل إلى عشرة آلاف رنجت (عشرة آلاف ريال تقريباً)، وأن الأساتذة يلجؤون إلى هذه الدروس، لأن الرواتب لا تكفي، وضربوا المثال بأحد الأساتذة الذي يتقاضى راتباً مقداره ١٦٠٠رنجت، ويدفع منها ٦٥٠ رنجت قسطًا لشراء منزل و٤٥٠ رنجت لشراء سيارة، وزوجة هذا الأستاذ تتقاضى ١٤٠٠ رنجت شهرياً. فهذا يعني أنه يعيش حياة صعبة، وتفاعلت وزارة التربية والتعليم عندهم، وكان من الاقتراحات أن ينظر في أوضاع المعلمين، وكذلك التأكيد على جودة التعليم، ألا يلجأ إلى التقصير في التدريس، وأن الوزارة سوف تتابع العملية التعليمية بدقة أكبر. كما كتبت إحدى المدرسات تدافع عن المعلمين بقولها: إنها تعطي دروساً خصوصية ويصل دخلها إلى ثلاثة آلاف رنجت شهرياً، مما يمكن أن يوفي بالتزاماتها، أما المبلغ الكبير فهي إما مبالغة أو أن بعض المدرسين يخونون المهنة، وطالبت هؤلاء المدرسين ألا يسيئوا لشرف المهنة، فإن كان دخل العمل لا يكفيهم فليبحثوا عن عمل آخر.

وقريباً من هذا الموضوع بحث قُدِّم في معهد جوته بالقاهرة ضمن ندوة عن الشباب العربي والشباب الألماني حول الدروس الخصوصية، وجاء فيه التساؤل عن أسباب مشكلة الدروس الخصوصية في مصر، ولماذا يلجأ الطلاب إلى أخذ الدروس الخصوصية، هل الأمر يعود إلى سوء الشرح في الدروس أو فقط للتقوية والحصول على درجات أعلى؟ وهل يقصر الأساتذة في شرح المواد في أثناء اليوم الدراسي، ليلجأ الطلاب

إليهم؟ وهل هناك جانب آخر وهو معرفة نوعية الأسئلة في الاختبارات أو حتى معرفة الأسئلة؟ وكم تكلف ميزانية المصريين؟ وكم يكسب الأساتذة من هذه الدروس؟ ونحن مبتلون في المملكة بالدروس الخصوصية، ولكن من يتقدم ليبحث في هذه المعضلة ويجد حلًّا لها.

وزير التربية والتعليم يصرح بعزمه دعم المدارس الأجنبية!!

كنت أظن أننا وحدنا المبتلون بالمدارس الأجنبية من فيكتوريا إلى جوزويت إلى الكلية الأمريكية إلى الجامعات الأمريكية إلى غيرها من المدارس الأجنبية، التي يتسابق بعض الآباء إلى إدخال أبنائهم فيها، رغبة في تعلم لغة أجنبية أو تعليم أجنبي يساعدهم على الحياة الوظيفية، فإذ بماليزيا مصابة بما نحن مصابون به!! ولو أنه من السذاجة أن يفكر الإنسان هكذا، فالغرب (الحبيب، الحريص على مصالحنا) أنشأ هذه المدارس في أنحاء العالم الإسلامي جميعها، ولو فكرنا غير ذلك لكان هذا عيباً في تفكيرنا.

مجرم يطارد النساء ويرتكب اللواط معهن بالقوة:

نشرت صحيفة ذي نيو سترتيس تايمز The New Straits Times يوم ٦ سبتمبر ٢٠٠٦م أن مجرماً يطارد النساء ويرتكب فاحشة اللواط بهن بعد تقييدهن وربط الأرجل والأيدي، وتكميم الفم بقطعة قماش، ويتناول التقرير حالة واحدة من هؤلاء النسوة، وكيف قاومت المجرم حتى أصيبت بجروح وكسور، وربما تؤدي كسورها إلى شلل. وتطالب الشرطة بالإسراع في إلقاء القبض على المجرم، حتى لا تقع نساء أخريات ضحايا له.

وفي العدد نفسه عنوان كبير يقول: أرقام الجرائم ترتفع، ففي الأشهر السبعة الأولى من عام ٢٠٠٦م تم تسجيل مائة وثلاثين ألف وأربعمائة وسبعة وخمسين جريمة (١٣٠٤٥٧) مقارنة بمائة وسبعة عشر ألفاً ومائتي جريمة في الفترة نفسها من العام الماضي.



الرحلة إلى كوريا



بين الرياض ودايجون والقهوة الكورية المعلّبة

وصلت مطار الرياض في وقت مبكر، كما هي عادتي في السفر أن أكون مبكراً جداً، لدرجة تزعج من يسافر معي، ولكني أتحسب دائماً لظروف غير عادية، وبالفعل حدث أن أخرجت جوازات السفر وبحثت عن التذكرة التي هي مجرد ورقة عادية تحمل تفاصيل الرحلة وغير ذلك، فلم أجدها وأخرجت كل ما في الحقيبة اليدوية دون جدوى، فذهبت لموظف الإمارات (وكان الموظف من موظفي الخطوط السعودية الذين يقومون بعمل المناولة، فقلت للموظف: هل فلحتم في حمل مسؤوليتكم حتى تقدموا الخدمات الأرضية لشركات أخرى؟!! فقال لي: نحن نقدم الخدمات الأرضية لعدد من الشركات، وكأنه يقول: إن لم يعجبك فاشرب البحر). فأخبرني أن اسمي وأسماء عائلتي موجودة في الجهاز، فكل ما أحتاجه هو جواز السفر. ولكن شخصاً كان يحمل أوراقاً اقترب مني يسأل إلى أين أنت مسافر، فقلت له: دعني وشأني: فأنا الآن مشغول أبحث عن تذاكري، فقال: من أين حصلت على التذاكر؟ فقلت له: من الطيار، فقال: إن لهم مكتباً في الطابق الأول فاذهب إليهم

ليصدروا لك تذاكر أخرى، فقد تجد مشقة إن سافرت بلا تذاكر، مع أن النظام هنا هو النظام هناك، أي لا تحتاج سوى جواز السفر.

وبالفعل ذهبت إلى مكتب الطيار الذي استغرق مني أكثر من ربع ساعة من المشي ذهاباً وإياباً، فأعطاني ورقة بديلة للتذاكر (رجعت إلى الرياض، ولم أبحث عن التذاكر أين نسيتها)، وركبنا الطائرة المتوجهة إلى دبي فكانت مزدحمة بالركاب عدا بضعة مقاعد لا تؤثر في تحقيق الشركة للربح. فهناك في عالم الطيران ما يسمى نقطة التوازن، أي إن حققت نسبة إشغال معينة فأنت تغطي تكاليف التشغيل وما يزيد من ركاب فهو ربح، وبإمكانك أن تبيع المقعد الواحد بسعر الوجبات التي ستقدمها لهم، وهم بالفعل يبيعون التذاكر بعد تحقيق تكاليف التشغيل بأسعار منخفضة، وهو ما يسمى بالتخفيضات تحت الطاولة أو قطع الأعناق في المضاربة بين شركات الطيران. وهي تجارة فيها توحش، ومعذرة لكل شركات الطيران، فقد أمضيت من عمري أكثر من ثنتي عشرة سنة أعمل بها.

نزلنا في مطار دبي حيث كان علينا أن ننتظر عدة ساعات، فدار حديث بيني وبين خديجة، حديث عن ضخامة المطار فقالت: كم هو جميل لو كان مطار جدة يشبه هذا المطار ليسهل مهمة استقبال حجاج بيت الله الحرام. وهذا المطار بني لكل أجناس البشر القادمين إلى دبي للاستمتاع بالبذخ في دبي، حتى إن صحفياً إنجليزياً (والإنجليز يخربون ويأتي بعضهم لينتقد) كتب تقريراً صحفياً في صحيفة بريطانية بعنوان، (الرمل والشمس والعبودية Sand, Sun and Slavery) في



أوخر شهر ذي الحجة عام ١٤٣٠هـ (ديسمبر ٢٠٠٩م) أصيبت دبي بأزمة اقتصادية قد تؤدي إلى الإفلاس والخراب).

سمعت في المطار كل اللغات الأوربية، فهناك من يتحدث الفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية والألمانية وغيرها من اللغات، ورأيت شباباً وشيباً هنوداً وباكستانيين يجوبون في ردهات المطار.

وبعد هذا تساءلت: لماذا لا يكون عندنا في السعودية مطار أو مطارات كهذا المطار؟ وكما كتب الدكتور فهد السنيدي ذات مرة عندما رأى ما عند غيرنا من تسهيلات وما عندنا من تعقيدات، وكان عنوان مقالته: (قاتل الله السفر) وقاتله وقاتله، ولكننا نحب السفر ولن نتوب منه. وأضيف: هل يحق لنا أن نسأل لماذا مطاراتنا في آخر السلم بين المطارات العالمية؟ ولن أكمل الحديث متذكراً قول الشاعر:

قالت الضفدع قولاً رددته الحكماء

في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

أو

في فمي يا عراق ماء كثير كيف يشكو من في فيه ماء

وصلت مطار سيول أو سول على الساعة الرابعة عصراً، وكنا قد غادرنا دبي على الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، وفرق التوقيت بين سول والإمارات خمس ساعات، وبينها وبين توقيت مكة ست ساعات، ومدة الطيران لم تزد على سبع ساعات ونصف، والطيران في اتجاه الجنوب يوفر عادة بعض الوقت، لما يسمى بالرياح الخلفية التي تدفع الطائرة، بينما الرياح الرأسية تثبط من سرعة الطائرة، وقد يكون

الفرق كبيراً في بعض الأحيان. وتسمى الريح الخلفية الريح الذيلية Tail Wind والريح الرأسية Head Wind

كانت الرحلة مريحة على الرغم من الازدحام، فقد نلنا قسطاً من النوم مع قطع النوم بالوجبات والأكل. وما إن وصلنا حتى خرجنا إلى بوابة المطار، فكان الخيار بين سيارة تاكسي أو الحافلة، وكانت أجرة السيارة التاكسي تصل إلى ثمانين ألف وان أي سبعين دولاراً، بينما أجرة الحافلة اثنا عشر ألفاً وان للراكب الواحد دون حساب الأطفال، فاخترنا الحافلة على الرغم من أنها تستغرق وقتاً أطول، وكان أمامنا أن نلحق بالقطار المتجه إلى دايجون (حيث يعقد المؤتمر)، فركبنا الحافلة على الساعة السادسة بعد معاناة مع خطوط الإمارات، التي أخرت وصول عربة فاطمة، واضطررت إلى أن أرفع صوتي، وأطالبهم بأن يوصلوا العربة إلى الفندق في دايجون، وأعطيتهم اسم الفندق.

والحمد لله أننا وصلنا قبل موعد القطار بربع ساعة، وكان علينا أن نصعد بالحقائب، ولم نعرف مكان المصعد. ووصلت القطار ومعي التذكرة التي اشتريتها عن طريق الإنترنت، فقال لي موظف المحطة: هذه الورقة لا تصلح، ولكن اصعد إلى مكتب التذاكر، ليستبدلوها لك بتذكرة أخرى، فيها رقم العربة والمقاعد. وبالفعل صعدت بسرعة وأخذت الموظفة الورقة، وطلبت أن ترى جواز السفر، فأعطتني بدلها تذاكر تحدد العربة وأرقام المقاعد.

وركبنا القطار، وكانت التذاكر في الدرجة العادية ولم يكن مزدحماً، وهو قطار ليس بالسريع ولا البطيء، فقد قطع المسافة وهي نحو مائة

وخمسين كيلو متراً في ساعة. وقد تحرك القطار على الساعة السابعة تماماً.

ووصلنا دايجون وكانت محطة القطار بعيدة، فلم أفهم ترتيب مدينة دايجون، فالفندق في مكان بعيد عن محطة القطار، حتى إن أجرة السيارة الأجرة كانت نحو عشرة دولارات.

وبعد أن استقر بنا المقام في الفندق المسمى يوسنج Yosung، وكنت أظنه فندقاً رائعاً حيث يطلق عليه ديلوكس، وما هو من الديلوكس في شيء، كما أن صور الإنترنت تخدع، فالفندق كان راقياً قبل عشرين سنة أو أكثر، أما اليوم فهو من الماضي السحيق لاتساخ أثاثه واستهلاكه، بالرغم من أن مدخل الفندق جميل ويوحي بفندق راق، فلا تخدعنكم صور الفنادق في الإنترنت. وكان الجو حاراً في الفندق، فأتى موظف الصيانة وحاول إصلاح المكيف دون جدوى، فقرروا أن ننتقل إلى غرفة أخرى. ولم تكن مختلفة جداً إلاّ أن النظافة فيها أفضل. وأحياناً يضطر الإنسان إلى أن يقبل، فبعد كل ذلك السفر لا وقت عندي للبحث عن مكان آخر.

وبعد الانتقال إلى الغرفة الأخرى فكرت في فنجان قهوة، وبعض الوقت لكتابة تفاصيل الرحلة حتى دايجون، فخرجت أبحث عن مقهى فلم أجد سوى القهوة المعلبة، وهي دافئة وليست ساخنة أو حارة. وسألت البائع: أريدها بلا سكر، فقال: هي بلا سكر، ولكنه لم يكن صادقاً، فكان فيها بعض السكر، فلا هي حلوة ولا هي مرة. فعكّر مزاجي قليلاً. ولكني أخذتها وجلست أمام البقالة أو المتجر في طاولات وضعت لزبائن البقالة. وقد وجدت العديد من البقالات تضع طاولة أو طاولتين وبضعة

كراس لجلوس الزبائن، الذين يشترون القهوة الدافئة أو الحساء أو بعض السندويتشات، وكان مستوى النظافة متواضعاً في هذه الطاولات.

وكانت هناك أشجار على جانبي الطريق، ووجدت أن أشجار كوريا لا تسكنها الطيور والعصافير بالرغم من وجودها بأعداد قليلة، ولكن يسكنها حشرة تصدر أصواتاً عجيبة ومزعجة، وتنطلق أصواتها مجتمعة ثم تسكت بعد فترة، ويسكتها المطر ولم يكن المطر كثيراً في الأيام التي قضيتها في كوريا بالرغم من أنها قريبة من الاستواء والأمطار الصيفية. ولكن على الرغم من أن الحرارة لم تكن مرتفعة ولكن كانت هناك رطوبة مزعجة نوعاً ما.

واشتريت القهوة بألف وخمسمائة وان won، أي أكثر من الدولار بقليل، وطلبت كأساً ورقياً فارغاً لأصب فيه القهوة، فقال لي: ادفع خمسين واناً وجلست بعض الوقت وخربشت.

☼



رحلتي إلى كوريا الجنوبية .. الأسباب والدوافع[١]

وداعاً سيئول أو سيول أو سول، والأخيرة هي الطريقة التي ينطق بها أهل تلك البلاد، وكأن الأجانب لهم طريقة في نطق أسماء المدن بخلاف ما ينطقها به أهلها، ومن ذلك على سبيل المثال بودابشت، فالأجانب ينطقونها بودابست، ويمكن أن يكون هناك مدن كثيرة من هذا النوع.

المهم أودع سول بعد زيارة لكوريا استمرت ستة أيام كاملة، وهي التي سمعت اسمها قبل أكثر من ثلاثين سنة، حين كنت أعمل موظفاً في الخطوط السعودية، وكان الاسم يتردد وأقابل بعض المسؤولين في الخطوط الكورية حين يأتون إلى الإدارة التي أعمل بها وهي الشؤون الدولية. وكانت علاقة الخطوط السعودية بالخطوط الكورية عن طريق اتفاق من نوع جديد بالنسبة للخطوط السعودية، وهي التشغيل المشترك Joint Venture، حيث يقوم الطرفان بالتسويق للرحلات، بينما تقوم إحدى الشركتين باستخدام طائراتها، ويتم احتساب تكاليف التشغيل،

(١) قمت بهذه الرحلة في الفترة من ١٢-٢٠شعبان ١٤٣٠ هـ الموافق ٣-١١ أغسطس ٢٠٠٩م.

ومن ثم تقاسم الأرباح. وكنت أسمع أن رئيسي في العمل سوف يسافر إلى سيئول (وكم كان الرؤساء يسافرون، والآخرون يتفرجون مع أنهم يستطيعون إنجاز العمل الذي ينجزه الرؤساء)، فوقع في نفسي أن أزور كوريا في يوم من الأيام.

وقبل أن أذكر كيف حصلت الفرصة لهذه الرحلة أود أن أتحدث عن أن العلاقات بين السعودية وكوريا في تلك الأيام: هو أن اتفقت حكومة المملكة العربية السعودية بالتعاقد مع الحكومة الكورية على أن تقوم مجموعة من شركات المقاولات الكورية بالقيام بمشروعات بناء في المملكة، ومنها عدد من الجسور وبناء المباني الجامعية لجامعة الإمام ومشروعات أخرى. وكان الكوريون في ذلك الوقت ينتمون في غالبيتهم إلى الجيش الكوري، وهو ما يعرف بسلاح المهندسين الكوري. وسلاح المهندسين في عدد من الجيوش عبارة عن شركة مقاولات كبرى تقوم بالعديد من المشروعات. ومن الأمثلة على ذلك سلاح المهندسين الأمريكي، وسلاح المهندسين المصري، وكنت في زيارة للجزائر ومررت مع صديق بأحد المشروعات الكبرى، فأخبرني أن الجيش الجزائري هو الذي يقوم بها. وأتمنى لو كان عندنا سلاح مهندسين يأخذ طلاب الثانويات ممن لم يقبل في الجامعات، فيعملون في الجيش مدة سنتين يتعلمون خلالها مهارة من المهارات أو مهنة من المهن أو غير ذلك، وإن رغبوا في الالتحاق بالجامعة بعد ذلك يتم تيسير تلك المهمة لهم بعد أن يحصلوا على بعض التدريبات اللازمة، وتشتد سواعدهم وعضلاتهم، ويبتعدون عن تضييع الأوقات فيما لا فائدة فيه.



سبب هذه الرحلة:

نظراً لاهتمامي بالاستشراق الهولندي أو الدراسات العربية الإسلامية في هولندا، فقد عرفت عن اهتمام الاستشراق الهولندي بالدراسات الآسيوية، حتى إن جامعة ليدن لديها المعهد الدولي للدراسات الآسيوية International Institute for Asian Studies، فتعرفت إلى ما يسمى رابطة علماء آسيا، وأن هذه الرابطة تعقد مؤتمراً سنوياً، وكان انعقاد المؤتمرات كالآتي:

١- المؤتمر الأول عقد في مدينة ليدن بهولندا، وقام بتنظيمه المعهد الدولي للدراسات الآسيوية في الفترة من ٢٥-٢٨ يونيه ١٩٩٨م، وقد شارك فيه أكثر من ثلاثمائة وخمسين جامعة ومعهداً ومنظمة، وكان عدد الباحثين والعلماء المشاركين أكثر من ألف مشارك من أربعين دولة، وتضمن المؤتمر مائة وثلاثين جلسة.

٢- استضافت جامعة برلين الحرة المؤتمر الثاني في الفترة من ١٩-٢١ أغسطس ٢٠٠١م، وشارك فيه نحو ثمانمائة عالم، وكان عدد الجلسات نحو مائة جلسة، وقدمت خمسمائة ورقة بحث.

٣- اشتركت كل من كلية الفنون والعلوم الاجتماعية ومعهد البحوث الأسيوية والجامعة الوطنية السنغافورية في تنظيم المؤتمر الثالث في الفترة من ١٩-٢٢ أغسطس ٢٠٠٣م، وشارك أكثر من ألف عالم من أربع وخمسين دولة، وقدمت نحو تسعمائة وأربعين ورقة بحث.

٤- استضافت أكاديمية شنغهاي للعلوم الاجتماعية في مركز شنغهاي للمعارض المؤتمر الرابع في الفترة من ٢٠-٢٤ أغسطس ٢٠٠٥م

وكان العدد أكثر قليلاً من المؤتمر الثالث، وبدأ هذا المؤتمر بتقديم جوائز للكتاب في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية وأفضل رسالة دكتوراه.

٥- استضاف معهد الاستغراب بالجامعة الوطنية الماليزية المؤتمر الخامس في الفترة من ٢-٥ أغسطس ٢٠٠٧ في مركز كوالالمبور للمؤتمرات، وحضره نحو ألف وثلاثمائة وخمسين باحثاً، وبلغ عدد الجلسات ثلاثمائة وثلاثين جلسة.

٦- وعقد المؤتمر السادس في مدينة دايجون في كوريا الجنوبية، وهي مدينة تقع على بعد مائة وخمسين كيلو متراً من سيول العاصمة، وتعد هذه المدينة مركزاً حضارياً وثقافياً مهماً. وشارك في استضافته بلدية دايجون ومركز دايجون للمعارض. وشارك في المؤتمر ثمانمائة باحث وعالم في أكثر من مائة وسبعين جلسة علمية.

شاركت في هذا المؤتمر برئاسة جلسة قدمت فيها ورقة عن وضع الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في الجامعات الأمريكية. وقد قدمت عدداً من الأسئلة حول هذه الدراسات ومن تلك الأسئلة:

- هل الجامعات الأمريكية جادة حقيقة في فهم الشرق الأوسط والإسلام؟
- ما معايير الفهم الصحيح للإسلام والشرق الأوسط؟
- ما معايير اختيار الأساتذة الذين يدرسون في هذه المجالات؟
- ما أهم إيجابيات هذه الدراسات وما سلبياتها؟



- ما العقبات والعراقيل التي تتعرض لها هذه الدراسات؟
- ما دور العرب والمسلمين في هذه الدراسات؟

وقبل أن أختم أود أن أشير إلى قضية غياب العرب والمسلمين عن هذا المؤتمر: فهل نحن في آسيا؟ وهل الأوروبيون والأمريكيون وحتى يهود الدولة العبرية أولى منّا بدراسة آسيا والاهتمام بشؤونها؟ أليس المسلمون في شرق آسيا وجنوب شرقها هم أكثر المسلمين عدداً في العالم؟ هل نسمح للأوروبيين والأمريكيين أن يفرقونا ويعضدوا أسباب الفرقة؟



اليوم الأول في كوريا وساعة هاشم وفاطمة البيولوجية

من عاداتي في السفر الاستيقاظ مبكراً والسير في الشوارع المحيطة بالفندق، للتعرف على المنطقة التي أسكن بها، وكذلك البحث عن فنجان قهوة ومكان أمارس فيه هواية قراءة الصحف والخربشة. وكان الفندق يزود الضيوف ببعض الصحف الكورية المكتوبة باللغة الإنجليزية. وبما أني ذكرت اللغة الإنجليزية فهناك صعوبة كبيرة في أن تجد كورياً في الأماكن التجارية يتحدث باللغة الإنجليزية، ولن أعد معرفة اللغة ميزة أو رقياً وتحضراً، كما يفعل الغربيون من أوروبيين وأمريكان، عندما يتحدثون عن انفتاح كوريا على العالم، وأن من معايير الانفتاح هو معرفة اللغة الإنجليزية أو اللغات الأوروبية. ولكن الإعلام الكوري يعلن أن كوريا الجنوبية أصبحت بلداً سياحياً، وفتحت أبواب البلاد حتى إن سبعين دولة حول العالم لا يحتاج مواطنوها تأشيرة الدخول، وإنما تعطى التأشيرة في المطار. فإن أراد الكوريون السياحة حقيقة فلا بد أن يبذلوا الجهد في تحقيق ذلك، وهو استخدام لغة يفهمها السياح، وهي الآن الإنجليزية.

بل إن الفندق الذي نزلت فيه مكتوب على بابه إنه فندق سياحي، ولكن يصعب التفاهم مع معظم العاملين فيه، سواء في الاستقبال أو في المكتب الآخر (الخدمات)، فليس هناك من يتقن اللغة الإنجليزية. أما المصيبة الأكبر فهي إن أردت شراء حليب أو جبنة أو أي طعام آخر فإنك تجد صعوبة في فهم ما في داخل القارورة، ولولا أن لون الحليب وشكل القوارير لما عرفنا كيف نشتري الحليب للأولاد. وشراء الحليب ضروري لأن أول طعام للأطفال قبل أن يأكلوا شيئاً آخر هو تناول بضع تمرات وكأس من الحليب. وقد أحضرنا التمر معنا من الرياض، حيث يحب الأولاد نبتة علي. وقد أخبرني أحد البائعين في سوق الخميس في الرياض أنهم صدروا إنتاجهم من نبتة علي إلى الحجاز، حيث إن أهل الحجاز يحبون هذا الصنف من التمر، وهو صادق فأولادي مدمنون على هذا الصنف من التمر.

ولو أردت شراء علبة تونة مثلاً لتجنب تناول الطعام الكوري فلا تعرف أي نوع من التونة، لأنه لا شيء يدلك على نوع التونة وجودتها، وإن كانت بعض أنواع التونة تضع صورة لما في الداخل، وهذا ليس دليلاً على جودة التونة، فكان آخر المطاف أن التونة الأغلى قد تكون هي الأجود. المهم أخذت الصحيفة المتوافرة في الفندق وهي كوريان هيرالد، ولا أدري هل هي مرتبطة بالهيرالد الإنجليزية العالمية أو لا؟ وبدأت تصفحها في المقهى الذي لديه قهوة الإسبرسو وبأربعة آلاف وان، أي قريباً من ثلاثة دولارات، فما أغلى تلك القهوة!! وهي في الفندق بستة آلاف وان.

سرت في الشارع فرأيت أن الناس يرتدون الخفيف من الثياب، نظراً للحرارة والرطوبة (الحرارة نسبية فلا شيء يقارن بقيظ الرياض)، وأما النساء فقد غزتهم الملابس الأوروبية الفاضحة، وكان يقال قديماً: تظهر الموضة في باريس فيسبقهم اللبنانيون إلى عري أكثر من عري الفرنسيين، وهكذا حال الكوريين، فهم يبالغون في عري الملابس وبخاصة البنطلونات أو السراويل القصيرة جداً. لم ألاحظ العناية بالبيئة في كوريا من خلال حاويات القمامة وتقسيمها كما يفعل الأوروبيون مثلاً، ولكن وجدت رجالاً ونساءً يسيرون في الشوارع، يجرون عربات تحملها عجلتان، تشبهان عجلة الدراجات (الكبيرة)، ولها يد طويلة فيجرها العامل، وكأنها العربات التي كانت تجرها الدواب في القديم. وقد مرت أمامي العديد من العربات تحمل الأوراق المقوى أو ما يسمى الكرتون بعد تصفيطه أو إعادته إلى شكله، قبل أن يصبح متوازي مستطيلات أو مكعباً. كما يحملون في هذه العربات علب المشروبات الغازية أو المشروبات الأخرى المصنوعة من الصفيح. وبالمناسبة رأيت في بعض الأماكن حاويات للأشياء التي يعاد تدويرها، ولكني لم ألحظ اهتماماً حقيقياً بالتفريق بين أنواع الزجاج أو أنواع المخلفات والفضلات.

والذين يجرون العربات يختلفون في أعمارهم وجنسهم، فمنهم النساء، وهم في الغالب ممن تجاوز الأربعين وربما الخمسين. فقد يكونون ممن فاتهم قطار التعليم ولم يجدوا وظيفة غير هذه. وفيما أنا جالس مرت عربة تحمل فوق طاقتها، أي يزيد ارتفاع الحمولة على ارتفاع العربة بنصف متر. فأوقفت المرأة عربتها في طرف الشارع، وذهبت إلى أحد الدكاكين لالتقاط بعض الأشياء من كرتون أو علب أو غير ذلك.



أردت أن أصرف بعض الدولارات إلى العملة المحلية، فما إن دخلت حتى سألتني موظفة عن الخدمة التي أحتاج، فأعطتني ورقة فيها رقم وهو ٧١٧، وكان الرقم الذي يُخدم هو ٧١٠ فظننت أن الأمر لن يطول. فجلست أتصفح الصحيفة التي معي وأراقب المشهد فوجدت أن إحدى الموظفتين اللتين تعملان قد غادرت مكانها وبقيت موظفة واحدة مما سيطيل فترة الانتظار.

وفي المصرف جلس بجواري شاب أمريكي فسألته عن سبب عدم عمل الهاتف الخلوي أو النقال في سيول، فقال: إنه لا يدري ولم يطل في الإجابة، وشعرت أنه لا يرغب في الحديث، وهكذا يمكن أن يشعر الإنسان لو كان شاباً وحدثّه رجل عجوز. وبالمناسبة لا أعلم لماذا لا تسهل كوريا عمل الهاتف النقال؟ فالشركات السعودية فيما يبدو لها اتفاقات مع معظم إن لم يكن كل شركات النقال في العالم، فلماذا تكون كوريا الاستثناء؟ ولعلي أسأل العم جوجل عن ذلك. ولكني لم أستسلم فسألت العديد من المتاجر القريبة عن بطاقة الهاتف النقال أو الكرت المسمى سيم كارد Sim Card ولا جواب، فإما أن تكون مشكلة اللغة أو أنني لم أشرح نفسي تماماً، مع العلم أنني رأيت الناس يستخدمون الهاتف النقال. قيل لي: لو سألت عن الأمر في المطار ولكني لم ألبث في المطار طويلاً لحاجتي إلى إدراك موعد القطار إلى ديجون. وبالمناسبة قلت لموظف الوكالة السياحية التي اشتريت منها التذكرة: إن المؤتمر في ديجون فلم يتعب نفسه أن يبحث هل لها مطار أم لا، ولكن المسافة قصيرة جداً من سول، فلا يحتاج الأمر إلى طائرة.

وبعد الانتهاء من قضية صرف العملة عدت إلى مقهى بالقرب من الفندق، وجلست فجاء ثلاثة رجال وامرأتان، اثنان من الرجال اشتعلت رؤوسهما شيباً، وأحدهما يحمل آلة تصوير تشبه ما يستخدمه المحترفون، ولها عدسات ضخمة تتقدمها، وقد تكون الكاميرا من عصر ما قبل العصر الرقمي. أما النساء فأكثر شباباً من الرجال، وتحمل إحداهما حقيبة، وكأنها مراسلة صحفية أو هي بقية العدسات للمصور المحترف. أحد الرجال يرتدي زياً عجيباً، فكأن الناس الذين يعملون في المجالات الفنية يغلب عليهم بعض الفوضى وعدم الالتزام باللباس المنتظم، أو كأنها البوهيمية في الشكل، أما التصرفات فلا أدري. كان الرجل يرتدي بنطالاً مهترئاً لم يعرف الكي منذ اشتراه، أو ربما حتى قبل شرائه، ويرتدي حذاءً مفتوحاً من الأمام والخلف، وليس ما يعرف بالجزمة أو الكندرة، والحذاء مهترئ، وكأنه قطع مسافات طويلة مشياً، وقميصه أسود وبه مربعات، وبنطاله قصير وشعره طويل..

فيما جلست في المقهى اطلعت على الأخبار والمقالات الآتية:

- صورة كوريا في الخارج. فكل دول العالم فيما يبدو تهتم بصورتها لدى الآخرين، ولكن ماذا تفعل من أجل إصلاح الصورة؟ بعضها يقوم بإصلاح الأصل فتنصلح الصورة، وبعضها يرش على الصورة أطناناً من المكياج وأنّى لتلك الصورة أن تتحسن!! ومن أجل تحسين الصورة فكوريا لا تتكلم فقط؛ بل تفعل وهذا ما سأقدمه إن شاء الله عندما أتحدث عن المؤسسة الكورية (Korean Foundation).

وكنت كلما شربت كأساً من القهوة وتعدل المزاج للكتابة رجعت إلى غرفة الفندق لعل هاشم وفاطمة يكونان قد استيقظا من النوم، فإذ

بهما غارقان في نوم عميق أو سبات عميق لا يمكن إيقاظهما، وقد فعلت ذلك عدة مرات كلفني صعود المصعد والعودة إلى المقهى من جديد حتى إذا انتصف النهار وتجاوزت الساعة الواحدة أو حتى الثانية حتى بدأ بالاستيقاظ. والسبب في مواصلة هاشم وفاطمة النوم هو الاختلاف في التوقيت الذي يصل إلى ست ساعات، فكان لابد لهما من بعض الوقت ليتأقلما على التوقيت الجديد، ويحدث الشيء نفسه معهما إن عدنا إلى الرياض.

وهكذا ضاعت كل مخططاتي لزيارة مكان مهم في دايجون، ولكن بعد ذلك قررنا أن أقرب مكان تصلح زيارته لبقية النهار هو أن نزور أحد الأسواق الشعبية وركوب المترو أو القطار التحتي. وعرفنا أن في دايجون مترو وله خط واحد وقد وضعت أرقام للمحطات، فسألنا عن سوق شعبي، فأخبرنا أن في المحطة الرابعة قبل آخر الطريق يوجد سوق شعبي وسوق مغطى أو تحت الأرض، وليس كسوق بايزيد باشا في تركيا، فلذلك السوق مذاق خاص لا تعرفه في أي مكان في العالم.

فركبنا المترو بعد معاناة محدودة مع شراء التذاكر، حيث تقدم أحد موظفي المحطة لمساعدتنا على شرائها من الماكينة أو الآلة الخاصة بذلك، وللسوق وما بعده حديث آخر إن شاء الله.

☼

زيارة السوق الشعبي وثمن كيلو الكرز أو حب الملوك

كنّا قد قررنا أن نقضي يومنا في السوق، فامتطينا صهوة المترو النظيف المرتب، الذي ليس فيه أي زجاج مكسور ولا باب مخدوش ولا أرض قذرة، وهذا ليس لأن الشعب الكوري نظيف جداً، فقد وجدت مواقع لا يتواني الكوري عن إلقاء المهملات والفضلات في الشارع أو توسيخ المكان الذي يجلس فيه، وقد أزعجني أن الطاولات الموضوعة أمام بعض البقالات يتناول عليها البعض الطعام ويتركها قذرة، وتجد بعض الأوراق قريبة. ولكن المترو نظيف، وربما لأن هناك عقوبات صارمة على من يعبث بالممتلكات العامة.

وللمترو خريطة موجودة فوق الأبواب بعضها تضيء لمبات خضراء توضح المحطة التي وصلها القطار والمحطات القادمة، بالإضافة إلى أن هناك إعلان باللغتين الكورية والإنجليزية، بالإضافة إلى توضيح الجهة التي يجب أن ينزل منها الركاب.

ومن الصعب في كوريا أن تحفظ الأسماء بالنطق الكوري مهما حاولت، وإن كانت بعض الأسماء قريبة أو واضحة مثل بوسان أو غيرها من الأسماء، ويمكن للإنسان أن ينجح إن حاول.

وصلنا إلى المحطة التي نريد فوجدنا أسواقاً على مد النظر تحت الأرض، وقد يكون تم بناؤها عندما بدأوا الحفر لإنشاء محطات المترو، فكانت فرصة أن يستغلوا تلك الأعمال الإنشائية بإنشاء الأسواق، والحقيقة أن أسواق ما تحت الأرض تنتشر في العديد من المدن حول العالم، ومنها برلين على سبيل المثال، وهناك أسواق تحتية كذلك في مدينة سيول ومرتبطة أيضاً بالمترو.

وكانت بداية السوق بعض المتاجر للبضائع أو الصناعات الكورية التقليدية، حيث تبيع هذه المتاجر الخزف والمصنوعات الجلدية، ووجدت أن محال الهاتف النقال كثيرة جداً، وكأن العالم كله مهووس بهذا الجهاز، (وإن كانوا لم يصلوا إلى هوسنا، وإلى وجود محال تبيع وتشتري الهواتف المستعملة وربما المسروقة)، وكان من المحال البارزة في هذا السوق المحال التي تسمى المحال الألف والألفي وانن، وهذه تشبه محال أبو ريالين عندنا، وإن وجدت أن بضاعتها أفضل من محلات أبو ريالين عندنا، فلابد أن هناك هيئات لحماية المستهلك عندهم، تمنع بيع البضائع التي تكون خطراً على حياة الناس وصحتهم، وقد قرأت أن وزارة التجارة سمحت لتجار الأدوات الكهربائية عندنا أن تبيع ما بحوزتها من بضائع مقلدة ومغشوشة، حتى إن تسببت هذه البضائع في تدمير ممتلكات الناس وحياتهم.

شاهدت في سول وفي دايجون انتشار مجموعات كبيرة من المباني العالية وذات الحجم الصغير، وهي كما قيل لي يمكن أن تسكن فيها العائلات ذات الطفل والطفلين وحتى الثلاثة، ولكن حجمها كما بدا لي لم يكن كبيراً، وكأنها مساكن شعبية، ولكن بصورة بنايات مرتفعة، وأكثر شيء أزعجني أن البنايات لها أرقام ضخمة مثل ١٠١، ١٠٢ ، ١١٠ و٢٠١ وغير ذلك من الأرقام. وفي سول أو ديجون هناك إعلان عن البدء في بيع هذه الشقق، ولو توافرت لنا مساكن من هذا النوع لارتحنا من دفع الإيجار الذي يكسر الظهر، وفي النهاية يذهب إلى جيوب الملاّك القليلي الرحمة في الغالب. وقد وزعت إحدى الجهات شريط دي في دي عن مدينة سول، وكان حديث بين كوري وأجنبي عن البنايات المرتفعة، فقال أحدهما كلاماً قاسياً ضد هذه المباني، وأنها لا تصلح للسكن الآدمي، فما هذه الطوابق المرصوص بعضها فوق بعض.

وأعجبني أن أشتري بعض الفاكهة فاشتريت الخوخ والموز، وشاهدت كرزاً أحمر جميلاً كبير الحبات، وهو الذي يسمى عند إخواننا في المغرب حب الملوك، (هل تسميته آتية من غلاء سعره؟ وأنه لا يأكله إلاّ الملوك؟) ، ففكرت في الشراء فسألت عن الثمن، ففهمت أن الكيلو بألف وخمسمائة، أي بنحو الدولار أو يزيد قليلاً ، فقلت: زِني كيلو وقد فعلت مسرعة، فلما نقدتها الثمن الذي فهمت، قالت: أنت مخطئ فالسعر خمسة عشر ألفاً أي نحو عشرة دولارات وزيادة، أي سبعة وثلاثون ريالاً ثمن الكيلو، فاسترجعت المبلغ ونسيت الكرز في يدي حتى أصرت على استعادته، وكان هذا من حقها، لكن أذهلتني المفاجأة أن يكون

الكيلو الواحد بذلك السعر. فربما يشتري الناس حبات قليلة يتذوقونها ويستمتعون بها ولا تكسر كاهلهم. وقد تكون من الفاكهة المستوردة كما نشاهد في الأسواق الكبيرة عندنا، حيث يحلو للبعض الذين لا يعدون الريالات عداً بل هي لديهم بالأكوام فيشترون كيلو البندورة بعشرين ريالاً، والفلفل الأخضر بثلاثين ريالاً وغير ذلك من الخضار والفاكهة التي لا تختلف كثيراً عن خضارنا وفاكهتنا، ولكنها فقط مستوردة من هولندا ومن فرنسا أو إيطاليا أو إسبانيا، والبعض يحب البندورة هولندية، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

وسرنا في السوق مسافة طويلة حتى وصلنا إلى منطقة فيها مسرح وتحت الأرض ناد للفنانين، والمسرح كان خالياً، لأن الوقت كان نهاراً، ولم يكن فيه أي نشاط، فكانت فرصة للأولاد أن يلعبوا قليلاً، وكذلك ليبتعدوا عن ضجيج السوق بكثرة الموسيقى والسماعات الضخمة، والعجيب أن أصحاب المحال يضعون آلات التسجيل عند الأبواب، ويجعلون الصوت مرتفعاً إلى درجة مزعجة، وكأني بهم يريدون أن يسمع أحد الزبائن أغنية يحبها أو تعجبه فيدلف إلى المكان، فيا لها من طريقة شاذة في اجتذاب الزبائن إن صحت. بل سرت قليلاً بعيداً عن ساحة المسرح، فرأيت مجموعة من المطاعم وتفعل الشيء نفسه في وضع السماعات أو مكبرات الصوت في الشارع. أليس هذا من التلوث الصوتي أو الضجيجي، وكيف تستقيم حياة الناس مع الضجيج؟

ولاحظت في سول وفي دايجون انتشار الكنائس ذات الصلبان العالية، ترتفع الصلبان إلى عنان السماء بطريقة مبالغ فيها، ويبدو أن النصرانية

لها نفوذ كبير في كوريا، حتى إن كوريا ترسل أعداداً من المنصرين إلى أنحاء العالم، وكأن النصرانية أصبحت ديناً أصيلاً في كوريا أو أصليا يقومون بتصديره أوالدعوة إليه، وقد حدث أن اعتقلت حركة طالبان عدداً منهم جاؤوا إلى أفغانستان للتنصير وجعلتهم رهائن. وجاء في الأخبار عن وجود منصرين كوريين في العراق.

اليوم الأول في المؤتمر: التسجيل وزيارة المعرض المصاحب

نقلتنا الحافلة من الفندق إلى مقر المؤتمر، وجئت إلى الموظفين المتخصصين في التسجيل المتقدم، حيث إن التسجيل قبل موعد معين يكون بثمن أقل، والتسجيل يعني أن تعطى حقيبة فيها ملخصات البحوث وبعض المعلومات الأخرى، ويكون لك الحق في كتابين من منشورات المؤتمر، التي يشرف عليها المعهد العالمي أو الدولي للدراسات الآسيوية في جامعة ليدن. فحصلت على حقيبتي، وكان لدي بعض الوقت قبل بداية الجلسات فمررت بالمعرض. ولفت انتباهي وجود جناح لمستشفى كوري يقدم خدماته من حيث تقديم الفحص عن الحرارة وقياس السكر والضغط. فوصلت إليهم وبادرتهم هل تقيسون ضغطي؟ وكنت مازحاً فما كنت أظن أن مستشفى تقدم الدعاية لنفسها وغير ذلك تهتم بقياس الضغط، فأسرعت المرضة بإخراج جهاز قياس الضغط وكان جديداً، وكان من النوع التقليدي القديم، ويقول الأطباء: إنه أفضل من الجهاز الرقمي، فتم قياس الضغط وكان مطمئناً أفضل بكثير من أي مرة أخرى تم قياس الضغط فيها في الرياض، فهل السفر له دور في انخفاض الضغط؟ وهل الابتعاد عن ضغوط الحياة ومن أهمها

قيادة السيارة في شوارع الرياض يسبب اعتدال الضغط؟ وكان القياس ١٢٥/٨٥ وهو رائع، وعندما قست في اليوم الثاني كاني ١٤٠/٩٠ وهو أيضاً جيد وإن كان المطلوب أن يكون أقل.

أما الجهات المشاركة في المعرض فسأذكر أسماءها الآن على أمل أن أقدم تعريفاً موجزاً لكل منها.

١- المعهد الدولي للدراسات الآسيوية، وهو شريك أساس في تنظيم المؤتمر وهيئة المؤتمر.

٢- البنك الآسيوي للتنمية، ويقدم مطبوعات كثيرة عن البنك وأنشطته، ويجلس في الجناح إنجليزي متخصص في الإعلام، وهو الذي يقوم بتحرير عدد من مطبوعات البنك.

٣- جامعة خاصة بالبنات في سول، وتقدم قائمة بمنشوراتها، فهل لجامعاتنا قائمة منشورات أو لجامعة البنات في مدننا المختلفة؟

٤- المعهد النوردكي (شمال أوروبا) للدراسات الآسيوية.

وهناك أجنحة أخرى أتناولها إن شاء الله في الصفحات القادمة.

المؤتمر والمعارض الأنشطة الأخرى

من الأنشطة المهمة المصاحبة للمؤتمرات إقامة معارض لبعض دور النشر أو الجامعات أو المؤسسات الثقافية المختلفة، وقد حرص منظمو المؤتمر على أن يكون هناك معرض مصاحب، يشارك فيه عدد من دور النشر الجامعية ودور النشر التجارية ومراكز بحوث وجامعات ومعاهد. وهذا النشاط يوفر للباحثين معرفة هذه الجهات وإنتاجها العلمي والفكري، ويتيح الفرصة لشراء بعض الكتب بأسعار مخفضة، ويكون أيضاً فرصة لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذه الجهات من خلال الأحاديث الفردية والجماعية في أثناء أوقات الاستراحات أو حين يهرب بعض المشاركين من الجلسات. وكنت قد بدأت في مقالة سابقة أتحدث عن المعارض المصاحبة ووعدت بتفصيل أكبر، وها أنا ذا أعود للحديث من جديد عن الجهات التي شاركت في المعرض المصاحب وهي كالآتي:

١- التعليم الإلكتروني في تايوان وبرنامج الأرشيفات الرقمية، ويقدم الجناح معلومات غزيرة وملفاً كاملاً يتضمن تجربة تايوان في

التعليم الإلكتروني، كما يقدم معلومات عن تايوان وثقافتها وجغرافيتها وشريط دي في دي عن تايوان.

٢- دار جامعة هونج كونج للنشر، وقد مر على إنشائها أكثر من ثلاث وخمسين سنة (حضرت مناسبة الاحتفال بمرور خمسين سنة، ولاحظت الوجود الإنجليزي في الجامعة الذي قد لا يتغير كثيراً في المستقبل القريب). وتنشر الدار كتباً ومجلات باللغات الإنجليزية والصينية ونشراً مزدوج اللغة الصينية والإنجليزية. وتتناول مطبوعات الدار الإعلام والمجتمع والثقافة، كما تنشر كتباً في مجالات العلوم السياسية والاقتصاد والطب والعلوم المختلفة.

٣- دار نشر جامعة إوها للنساء بسول، وهي تابعة لجامعة إوها التي تأسست عام ١٨٨٦م من قبل كنيسة تتبع المذهب المنهجي Methodist، وهي أكبر جامعة للنساء في العالم، ومن أفضل الجامعات في كوريا، وتقع في وسط العاصمة سول. وهي مسؤولة عن عدد من الأوليات في كوريا، ومنها على سبيل المثال: أن أول امرأة تحصل على الدكتوراه من هذه الجامعة وغيرها من الأوليات. ويتضمن الكتيب أسماء الكتب التي نشرتها دار النشر التابعة للجامعة.

٤- دار نشر الجامعة الوطنية السنغافورية، وهذه الدار مسؤولة عن نشر العديد من الكتب الأكاديمية ذات السمعة العلمية العالية، ولها نشاط في مختلف بلدان العالم من أمريكا الشمالية إلى أوروبا وأستراليا ونيوزلندا (ليس في العالم العربي لضعف النشر عندنا أو توزيع الكتاب العلمي الأكاديمي المتخصص).

٥- المؤسسة الكورية وبالإضافة إلى جناحها في المعرض، فهي إحدى المؤسسات الراعية للمؤتمر، التي دعت المشاركين لحفلة العشاء في اليوم الأول. وحفل الاستقبال هذا يعد من أبرز أنشطة المؤتمرات عموماً، حيث يجتمع معظم أو حتى كل المشاركين في نشاط واحد، فيتم التعارف من خلال الاجتماع على موائد الطعام، أو من خلال الوقوف في الصف لأخذ ما تيسر من طعام (نظام البوفيه). وقد أعجبني في نشاط المؤسسة الكورية التي تستحق حقيقة أن يفرد لها مقال كامل لما تقدمه من خدمات جليلة في سبيل نشر الثقافة الكورية وإبراز مكانة كوريا في العالم. فقد لفت نظري أن هذه المؤسسة ترعى خمسة وسبعين أستاذاً حول العالم يقومون بتدريس الدراسات الكورية وليس اللغة الكورية فقط. وجميل أن تجتمع كل كراسي الدراسات الكورية تحت مظلة واحدة. ونحن في السعودية حرصنا على أن يكون لدينا عدد من الكراسي العلمية في الجامعات العالمية، ولكن لكل كرسي هيئة ونظام ومشرفون فحبذا لو اجتمعت تحت مظلة مؤسسة واحدة ترعى كل تلك الكراسي وفقاً لنظام موحد.

٦- بنك التنمية الآسيوي Asian Development Bank، وأبرز أهداف البنك كما هو معلن في مطبوعات البنك من تقارير سنوية ومطبوعات مختلفة هو محاربة الفقر، ويقول الإعلان عن الجناح إنه بالرغم من النجاحات التي حققتها الدول الآسيوية، ولكن مازال ثلثا فقراء العالم في آسيا حيث يعيش ما يقارب بليون وثمانمائة مليون تحت خط الفقر بدخل أقل من دولارين يومياً.

وقد أتيحت الفرصة لي للحديث مع ممثل البنك في المعرض، فعرفت أنه أمريكي متخصص في الإعلام، وهو مسؤول عن تحرير عدد من مطبوعات البنك ونشرها، وقد جمع لي عدداً من المطبوعات اضطررت لثقل الحقيبة أن أتخلص من معظمها، ولكني أبقيت مجلة مكتوب على غلافها: «هل تستطيع آسيا أن تتحد لمواجهة العاصفة؟»، وعنوان المجلة (التنمية: آسيا) وهو العدد الثالث من المجلة، وصادر في أبريل عام ٢٠٠٩م. وأصر عليَّ أن أقرأ المجلة، وأبدي رأيي فيها. ولا أخفيكم أنني تعجبت أن ينشأ الأوروبيون والأمريكيون بنكاً لمحاربة الفقر في آسيا، فهل ينطبق عليهم قولهم (يقتل القتيل ويمشي في جنازته)، أليس الأوروبيون الذين تنافسوا على احتلال آسيا ونهب خيراتها منذ قرون عديدة هم السبب الأول في إفقار تلك البلاد؟ أليس الأوروبيون والأمريكان سبباً في تخلف معظم أقطار العالم بدعمهم لأنظمة تربض على قلوب العباد والناس، فتؤخر نهضتهم وتطورهم؟ ولقد قرأت أن الدول التي احتلتها بريطانيا وغيرها من القوى الأوروبية كانت بطيئة في التنمية، بينما الدول التي احتلتها اليابان والصين كانت أسرع في البناء والنهضة والتنمية. ويضيف الكاتب أن الصين واليابان قامتا ببناء البنية التحتية في الدول التي احتلتاها، بينما لم تفعل ذلك الدول الأوروبية. ويزعم البعض أن الاحتلال الفرنسي أو الإنجليزي بنى سككًا حديدية في بعض الدول التي احتلها، ولكن الحقيقة أن هذه السكك كانت لخدمة الاحتلال أكثر منها لخدمة الشعب الذي كان محتلاً، ولذلك فإن كثيراً من هذه المشروعات ماتت بعد أن خرج الاحتلال الأجنبي.

٧- المعهد الدولي للدراسات الآسيوية والتجمع العالمي للدراسات الآسيوية، وهذا المعهد مخصص لدراسات ما بعد الدكتوراه، ومركزه في كل من ليدن وأمستردام، ويشجع المعهد الدراسات المرتبطة بمختلف العلوم والمعارف وكذلك الدراسات المقارنة، ويشجع التعاون الدولي. ويعتني المعهد في المقام الأول بالعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية وصلتها بالعلوم الأخرى. وقد تأسس المعهد عام ١٩٩٣م (لم أعثر على المعلومة في موقع المعهد أو المطوية التي وزعت في المعرض، ولكني قرأتها في مكان ما). وقد تولى المعهد سكرتارية التجمع الدولي لعلماء آسيا منذ عام ٢٠٠١، حيث عقد المؤتمر الأول للتجمع في ليدن في العام نفسه. ومازالت بعض المناصب الأساسية في التجمع هي لعلماء من هولندا.

٨- معهد دراسات جنوب شرق آسيا: سنغافورة وقد تضمن جناح المعهد بعض مطبوعاتهم، وقد اشتريت منهم كتاباً بعنوان: (وجهات نظر إسلامية للألفية الجديدة)، واحتوى الكتاب عدداً من البحوث التي تتناول قضايا إسلامية عامة، وقضايا تخص جنوب شرق آسيا، وقد كتب معظم البحوث أساتذة يعملون في تايوان وفي أستراليا والهند وغيرها من دول جنوب شرق آسيا، ومن متخصصين أوربيين في الدراسات الإسلامية.

٩- المركز الفرنسي للبحوث حول الصين المعاصرة، وهو معهد حكومي يعتمد في ميزانيته على دعم الحكومة الفرنسية، ومقره في كل من تايبيه بتايوان وهونج كونج، وأبرز أهدافه دراسة التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية في عالم الصين. وبالإضافة إلى

البحوث والدراسات، فينظم المركز العديد من الندوات والمؤتمرات وحلقات البحث والمحاضرات. وللمركز أكثر من مطبوعة دورية.

١٠- الأرشيف الكوري للعلوم الاجتماعية ويرأسه سيوك هيون -هو Seok, Hyun-ho، وهو مؤسسة غير ربحية لجمع المعلومات والبيانات حول العلوم الاجتماعية والآداب. ويضم الأرشيف إحصاءات وأرقاماً تخص المجتمع الكوري من جميع الجوانب.

وهناك مؤسسات وهيئات أخرى من بعض الدول الأوربية والأسيوية. وقد لفت انتباهي جناح دار روتلدج البريطانية فيما يبدو، وإن كانت ترى أنها مؤسسة عولمية أو عالمية، وتنشر نحو ستمائة مجلة علمية أو دورية وألفي كتاب سنوياً. ولها اهتمام كبير بآسيا وبالعالم الإسلامي وبالإسلام على وجه الخصوص.



جلسات المؤتمر معلومات وطرائف وتعليقات

ذهبت لحضور الجلسة الأولى في العاشرة صباحاً بعد انتهاء مراسم التسجيل، وكانت بعنوان: «جوانب من الإسلام»، وكان المتحدث الأول يقرأ من ورقة بلغة إنجليزية غير واضحة، وهو ما يؤكد لي مسألة التدرب على حضور المؤتمرات، حتى إن كانت لغته المكتوبة قوية، ولكن نطق بعض الآسيويين للغة الإنجليزية كارثة حقيقية، وأتعجب كيف يصعب عليهم أن يحققوا مستوى أفضل في نطق اللغة، وهم قد أتقنوا فهمها مفردات وتراكيب ولغة؟!! ولم أحاول في أثناء تقديمه لورقته أن أستوعب ما يقول.

وجاءت الباحثة الثانية وهي من جامعة كيوتو باليابان فتساءلت: وما سبب اهتمام باحثة يابانية بدراسة موضوع معاناة المرأة في إحدى مقاطعات الهند؟ ولكني تذكرت أن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض استضاف باحثة يابانية من جامعة كيوتو أيضاً عدة أشهر لتدرس وضع المرأة في السعودية، وكانت تتحدث

اللغة العربية بطلاقة. وبدأت حديثها عن سبب معاناة المرأة (لم تحدد مسلمة أو غير مسلمة، وإن كان الغالب أنها تحدثت عن غير المسلمين)، وهو تأخر الإنجاب الذي يجبرها على أن تبحث عن علاج لها، بينما الرجل لا يوجه إليه الاتهام بأنه قد يكون السبب. فتذهب المرأة إلى المستشفيات والمختبرات، وتلجأ للشعوذة وغيرها. وليت الأمر يتوقف عند إلقاء المسؤولية على المرأة، بل إنها تصبح شخصاً غير مرغوب فيه في المجتمع، فلا تدعى إلى كثير من المناسبات الاجتماعية، وإن حضرت تكون منبوذة. وقد يتزوج عليها زوجها أخرى حتى إن كان القانون الهندي يمنع ذلك. وأتعجب لماذا يقف الهنود في وجه الزوجة الثانية؟ هل تأثروا بالأوروبيين وعدوا الزواج بثانية أو ثالثة نوعاً من التخلف؟!!

وترى الباحثة أن عدم الحمل يدل على نقص الأنوثة والأمومة، ومعدل سن الزواج عندهم هي من ١٨-٢٠ بالنسبة للمرأة ولم تذكر سن الرجل حين الزواج. وأيضاً تؤكد بعض الدراسات أن تأخر سن الزواج في المجتمعات المعاصرة سببه ارتفاع مستوى التعليم، وهذا ما كتبه باحث عربي مقيم في فرنسا، ولكن أليس توافر العلاقات بين الرجال والنساء بلا زواج أخر تحمل كلاهما للمسؤولية؟ حتى إن المساكنة كما يطلقون عليها أو العيش في الحرام أصبح مؤسسة قائمة تهتم الدول الغربية بعمل تشريعات لها لتنظيمها؟!!

وكان من ضمن حديثها عن معاناة المرأة الحديث عن سيطرة الرجل واستبداده بالرغم من وجود دراسات إنثروبولوجية تؤكد أن للمرأة مكانة خاصة في آسيا وفي جنوب شرقها بصفة أخص، حيث

وصلت نساء إلى مناصب رئاسة الوزراء في باكستان ورئاسة الجمهورية في بنجلاديش وفي الهند وفي إندونيسيا، وأن المرأة هي التي تدفع المهر للرجل. فكيف يستقيم هذا مع ما ذكرته الباحثة من سيطرة الرجل واستبداده.

وبمناسبة ذكر العقم والإنجاب فقد سمعت قصة طريفة عن طالبين سعوديين كانا مبتعثين في الولايات المتحدة الأمريكية، فقررا إجراء فحص في المختبر على قدرتهما على الإنجاب، فكانت نتيجة أحدهما أنه عقيم، ومع ذلك عاد إلى السعودية وتزوج إحدى قريباته وعاش معها سنوات طويلة ومازالا دون أطفال، وهو يعرف وضعه، ولكنه كان في كل تلك الفترة يصر على أن تقوم الزوجة بإجراء الفحوص والتحليلات، وهو يعلم الحقيقة. وتساءلت: لماذا قبلت المرأة أن توجه إليها تهمة عدم الإنجاب مع أن الرجل يمكن أن يكون سبباً؟ والقرآن الكريم لم يحدد من الطرف المسؤول، بل جعل الأمر عاماً، حين قال: (ويجعل من يشاء عقيماً) فلماذا صبرت تلك المرأة على ظلم زوجها لها بالرغم من أنها تحمل شهادة الدكتوراه؟ فهل حبها لابن عمّها أو زوجها جعلها تصبر أو أن المرأة هي الطرف الأضعف؟ وأعتقد أن هذا صحيح في أغلب الأحيان، عدا الحالات التي تكون المرأة فيها مستبدة خبيثة، ولذلك أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنساء خيراً، وقال: (**هنّ عوان عندكم**) وجاء في حديث آخر (**خيركم خيركم، لأهله وأنا خيركم لأهلي**).

ولما كانت الجلسة بعنوان: (جوانب من الإسلام) توقعت أن يحضر بعض الأوروبيين والأمريكان ليتحدثوا في الدين الإسلامي، ولكنهم

تركوه لأبناء جنوب شرق آسيا من إندونيسيين وماليزيين وهنود. وقد اعتذر بعضهم حتى إن جلستين دمجتا في جلسة واحدة، وكأن الإسلام لا يستحق أن يكون له مكانة في مؤتمر كهذا.

وكان من ضمن الأوراق التي قدمت بحثٌ تناول الإسلام في الهند من حيث العلاقة بين العلوم العقلية والعلوم النقلية، مشيراً إلى سيطرة العلوم النقلية، وأشار كثيراً إلى الصوفية، وذكر عدداً من كتبهم مثل (مجمع البحرين) و(سكينة الأولياء)، وتحدث كيف أن بعض مشايخ الطرق أو العلماء سعى إلى التقارب مع الأديان الأخرى، ولم يشر الباحث أن هذا التقارب مما يسمح به الدين أو أن فيه تنازلاً عن بعض جوانب إلى الشريعة، كما تفعل بعض الأقليات أحياناً لتكون أكثر قبولاً.

وقدم أحد الباحثين موضوعاً حول الإسلام والعنف من خلال قضية عناصر التدين المتطرف في إندونيسيا، وذلك في الفترة من ١٩٦٧إلى عام ٢٠٠١م.

وفي جلسة مهمة عن النظرات المتبادلة بين الشرق والغرب كان الحديث عن الاستشراق وما فعله الاستشراق من تأثير في عقليات أبناء المنطقة في الفترة التي كانت محتلة من قبل القوى الأجنبية، وأشار أحد الباحثين إلى أن ماليزيا كانت قبل الاحتلال تتمتع بقدر كبير من التعددية الثقافية المنسجمة المتناغمة. فجاء الاحتلال فأحدث شروخاً في بناء المجتمع حتى أدى في نهاية المطاف إلى فصل سنغافورة عن الوطن الأم. وكان الحديث في هذه الجلسة عن الاستغراب (معهد الاستغراب في جامعة ماليزيا الحكومية هو الذي نظم هذه الجلسة).

وأننا في العالم الإسلامي لا نعرف الغرب، وقد حصل المعهد على دعم كبير من رئيس الوزراء الأسبق في ماليزيا مهاتير محمد، الذي قال: بالرغم من أنني أنتقد الغرب كثيراً لكن معرفتي بالغرب محدودة. ولذلك يجب أن نشجع الاتجاه لدراسة الغرب. وقد ذكر رئيس الجلسة أن لفظة التغريب Westernization قد دخلت إلى قواميس العالم، ولكن لفظة التشريق (easternization) غير موجودة، بل إن قاموس الحاسب الآلي يضع خطأً أحمر على الكلمة، ويعطي بديلاً لها لفظة استغراب. وإن كنت لم أستوعب كيف نحول العالم إلى الشرق؟ هل بنشر ثقافة الشرق وروح الشرق في الغرب؟ وهل لدينا القوة والدوافع لنشر ثقافتنا عندهم؟ وهل سيتقبلون ثقافتنا؟

وشارك أحد الباحثين بورقة عن الانترنت وما فيها من ثقافة وعلم، هل هو امتداد للاستشراق والتغريب والاستعمار؟ أو أننا نستطيع أن نتخلص من أثر هذه الأدواء؟ وأكد في ورقته وهو المتخصص في الحاسب الآلي وهندسته أن السيطرة للغرب، فهو الذي اخترع الإنترنت وأطلق المصطلحات المختلفة على كل جوانب الحاسوب والإنترنت، فلذلك لن نستطيع التخلص من سيطرة الاستشراق والتغريب. وهذه في الواقع نظرة تشاؤمية أو استسلامية، فهل اختراع الغرب لهذه الأدوات مبرر لهم أن يستمروا في السيطرة الفكرية علينا؟ ألا نملك نحن القدرة على استخدامها الاستخدام الصحيح، وأن نضع من المادة العلمية ما نريد. لقد أخطأ الباحث فهناك مواقع إسلامية وعن الإسلام أعدها مسلمون مخلصون، هي المرجع الأساس في القضايا الإسلامية، وبعض هذه المواقع تأسس في الغرب، بينما تأسس بعضها الآخر في الدول

العربية والإسلامية، وبعضها بدأ بمبادرات فردية، بينما البعض الآخر أخذ البعد المؤسساتي المنظم.

وصحبة ماجد أو غير ماجد!!

يقول المثل العامي: (معرفة الرجال غنيمة)، وأود أن أضيف (معرفة الناس تجارة). والشافعي جعل صحبة ماجد إحدى فوائد السفر الخمس، وهناك من جعلها سبع، ولكن هاهي الخمس:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

وفي أحد المقالات التي تقدم نصائح لمن يحضر المؤتمرات أن يكون الباحث أو الأستاذ جريئاً في الحرص على التعرف على الآخرين، فهم قد جاؤوا لمثل هذا الهدف. بالرغم مما أجده في نفسي من خجل في التعرف على الآخرين وبخاصة حين أكون الوحيد من جامعتي أو من العالم العربي فأضطر إلى المشي وحيداً وإلى الجلوس في صالة الطعام وحيداً حتى يشاركني غيري. ولكن أجد نفسي جريئاً في مواقف أخرى، ففي أحد المؤتمرات كانت هناك نزهة بحرية أو نهرية وجلست مع زوجتي، وكان بالقرب منّا طاولة يجلس إليها عدد من الأساتذة الأمريكيين فسمعت طرف الحديث وكان يهمني فقمت إليهم وقلت: إن ما تتحدثون عنه هو جزء من اختصاصي، فهل تسمحون لي بالاشتراك معكم؟ وقدمت نفسي ورحبوا وكان حديثاً شيقاً وتبادلت بطاقات الزيارة مع عدد منهم.

وفي هذ المؤتمر تعرفت على عدد من الأساتذة الذين يجمعهم بعض الأمور المشتركة، وهي الانتقال إلى العمل في اليابان، وكيف أن المقام قد طاب لهم في تلك الديار. وأولهم أستاذ إثيوبي متخصص في الاقتصاد، درس في بريطانيا في جامعة لندن وفي مدرسة الاقتصاد والعلوم السياسية، كما درس في جامعة أكسفورد، فحصل على فرصة التدريس في اليابان، وهو مقيم في اليابان منذ خمس سنوات.

وفيما أنا أستمع إلى المذياع في صبيحة يوم الجمعة في الرياض عندما كنت ذاهباً لشراء صحن فول، إذ بالبرنامج مع رواد الثقافة للدكتور سعد القحطاني، وكان الضيف أستاذاً تونسياً أتيحت له الفرصة للتدريس في السنغال، ثم في جزر القمر، حيث أمضى في جزر القمر ثلاث سنوات، فوقع في نفسي الغبطة لهؤلاء الذين أتيحت لهم الفرصة للعمل في عدة دول، والإفادة من الاحتكاك بشعوب مختلفة. ولكني تذكرت أنني أيضاً أتيحت لي الفرصة للعمل في الخطوط السعودية والسفر إلى أنحاء كثيرة من العالم، صحيح أنه لم تتح لي الإقامة إلاّ في إكستر عدة أشهر، ولكني حصلت على فرص طيبة، وأحمد الله عز وجل على توفيقه، وأحب أن أتذكر دائماً قول الله عز وجل ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾.

ومن الأشخاص الذين قابلت في المؤتمر أستاذ أمريكي وهو إم. جي. شفتول M. G. Sheftall، وهو أستاذ مشارك في جامعة شيزوكا في كلية المعلوميات University of Shizuoka فسألته ماذا تدرس اليابانيين؟ قال: نظرية الاتصال، قلت: أهي نظرية أو نظريات؟ قال: نظريات، ولكن أطلق هذا المصطلح على المادة، قلت: وهل تدرّس مواد أخرى؟

قال: نعم. تاريخ اليابان الحديث، فأسرعت إلى القول: «من وجهة النظر الأمريكية؟» قال: لا من وجهة نظري الخاصة، فقد عشت في هذه البلاد، خمساً وعشرين سنة، أي أكثر من أعمار بعض طلابي. وأعرف من الحقائق الكثير عن تاريخ اليابان الحديث. وتعجبت كيف يعيش أمريكي كل تلك السنين في اليابان؟ ولكني تذكرت أستاذاً ألمانياً متخصصاً في العلوم السياسية قابلته في جامعة طوكيو، حينما كنت ضيفاً للمؤسسة اليابانية ودعينا لمحاضرة للسفير البلجيكي حول الاتحاد الأوروبي والنظريات التي تنادي بتوسيع الاتحاد، والنظريات الأخرى المطالبة بعدم التوسع في عضوية الاتحاد. وكان من بين الحديث مع السفير البلجيكي عن انضمام تركيا، فقال: من المستحيل أن يقبل الاتحاد الأوروبي تركيا، فهي بالإضافة إلى كونها دولة مسلمة ولكنها تأتي بتاريخ طويل، وهو الدولة العثمانية والنفوذ في العالم التركي، وهي معظم جمهوريات آسيا الوسطى التي تشترك مع الأتراك في العرق واللغة. وكان الأستاذ الألماني الذي يدرّس الطلاب اليابانيين أيضاً قد أقام في اليابان ما يزيد على عشرين سنة.

وأعرف نموذجاً ثالثاً وهو الدكتور سمير عبد الحميد المتخصص في لغات وآداب شبه القارة الهندية وبخاصة الأردو واللغة الفارسية، أتيحت له الفرصة للعمل في اليابان فتزوج امرأة يابانية وأتقن اللغة اليابانية، وقد بلغ أولاده الآن سن الجامعة، فعاد إلى اليابان ليعيش فيها من جديد.

كما قابلت باحثين آخرين من عدة جامعات أوروبية وأمريكية، وهم متخصصون في الدراسات الآسيوية، فهذه باحثة مجرية أعدت رسالة

الدكتوراه حول المنظمة الآسيوية التي تسمى آسيان، وقد كتبت على بطاقتها (بطاقة الزيارة) (مستشرقة ومؤرخة وباحثة)، وتقول: إنه ليس عندها وظيفة في الوقت الحاضر فكتبت تلك التعريفات.

وكان لي لقاء مع موظف العلاقات العامة ببنك التنمية الآسيوي، وكذلك مندوبة الرابطة النوردكية للدراسات الآسيوية، ومن ضمن الحديث معها تناولت مشروعها في إصدار كتاب حول (كيف تنشر كتابك؟)، ويتناول الكتاب بالشرح كيف يقوم المؤلف بنشر كتابه بنفسه بعيداً عن دور النشر. ودار الحديث أيضاً حول حضور المؤتمرات وأهميتها. وقلت لها: يوجد لديكم رابطة لدراسات الشرق الأوسط تعقد مؤتمراً سنوياً، فقالت: إنه لا علم لها بمثل هذه الرابطة، وكان لدي ورقة فيها إعلان عن المؤتمر، ففرحت بالمعلومة وأخبرتني أنها ستفيد من هذا الأمر لتعرض كتاباً نشرته رابطة الدراسات الآسيوية على رابطة دراسات الشرق الأوسط لبيعه من خلالهم وفي مؤتمرهم المقبل.

وتساءلت هل عيب أن نهتم بشؤون العالم؟ وهل خطأ أن نغيب حين يحضر الآخرون؟ لماذا نحضر؟ ولماذا نغيب؟ وقد ذكرت أنه كان من المقرر أن تعقد أكثر من جلسة حول موضوع جوانب من الإسلام، ولكن نظراً لغياب الباحثين فقد تم دمج الجلسات كلها في جلسة واحدة. فأتساءل أين الجمعية السعودية لعلوم العقيدة والمذاهب المعاصرة؟ وأين الجمعية الجديدة التي أعلنت في القصيم قبل عدة أشهر عن الإسلام والقضايا الفكرية؟ وأين الجمعيات الأخرى مثل جمعية العلوم السياسية وجمعية الجغرافيين وجمعية كذا وجمعية كذا؟

لقد لفت انتباهي التهافت العجيب على مؤتمرات في بلاد سياحية مثل ماليزيا ومصر والأردن. بالرغم من أن قضية اللغة في المؤتمرات الدولية قد تكون عائقاً، ولكن لدينا والحمد لله جيش من الأساتذة الذين درسوا في الغرب ويتقنون اللغات الأجنبية، فلماذا لا يحضرون؟ هل حضور الأستاذ مقابل انتداب محدود لا يغري الأساتذة للتعب من أجل حضور المؤتمرات في الدول الأجنبية.

وقابلت آخرين في ردهات المؤتمر ومنهم البروفيسور الهندي المتخصص في علوم السياحة وهو ساتيندرا باتنيك Satyendra Patnaik، ويعمل مدير تنسيق التخطيط ومدير معهد السياحة وإدارة الضيافة في جامعة KIIT بمدينة أوريسا بالهند Orissa، وأشار إلى استعداده للتعاون مع كلية الآثار والسياحة بجامعة الملك سعود أو أي كليات للسياحة بالمملكة، وأضاف أنه على استعداد للتعاون المجاني.

وفيما أنا أهم بالعودة إلى الفندق بعد نهاية جلسات اليوم الثاني وقفت أنتظر سيارة أجرة، وفجأة جاء عدد من الأساتذة فركبنا معاً إلى الفندق، وسمعت حديث أستاذ أمريكي متخصص في الصين وأنه كان يزور الصين مرة كل عام، حتى قررت السلطات الصينية عدم منحه التأشيرة، ولا يدري ما الأسباب، وقد حاول أن يكتشف تلك الأسباب ولكن دون جدوى، فقرر أن يتحول إلى دراسة كوريا، وكانت في السيارة أيضاً باحثة أسترالية مهتمة بالشأن الآسيوي وبخاصة بماليزيا.

☼

لماذا نهضت كوريا ولم نتقدم؟

عاد صديق من كوريا قبل أسبوع من سفري، وقال: لمّا رأيت حال كوريا بكيت حقيقة على أوضاعنا، فهذه كوريا التي لم تبدأ نهضتها إلاّ قبل أربعين أو خمسين سنة على الأصح أي منذ عام ١٩٦١م، واستعانت بأموالنا حين أحضرنا عدداً من الشركات الكورية لتسهم في بناء بعض المشروعات العمرانية في بلادنا استطاعت أن تسابق الزمن كما يقولون وأن تبني نهضتها بناءً حقيقيا.

لماذا نهضت كوريا؟ قرأت عبارة أن الدول التي خضعت للاحتلال الياباني كانت أسرع في النهوض؛ لأن اليابان قامت بإنجاز البنية التحتية في البلاد التي احتلتها، بينما كانت حركة النهضة في البلاد التي خضعت للاحتلال البريطاني بطيئة بالرغم من أن سمعة الاحتلال الياباني سيئة لوحشيته وعنفه. ولكن هل يمكن أن يكون هذا هو السبب الوحيد؟ وقد كان أحد الكتب التي فازت بجوائز في مسابقة الكتب، كتاب عن الاستعمار والمستعمرات في آسيا، وأرجو أن تتاح لي الفرصة لقراءته وفهم أحوال احتلال البلاد الآسيوية وأنواع الاستعمار.

هناك رأي قرأته لكاتب أمريكي يكتب في الصحافة الكورية باللغة الإنجليزية: أن العسكر الذين حكموا كوريا في العصر الحديث أصدروا أوامرهم العسكرية فنهضت البلاد، فمعنى ذلك أن الإرادة السياسية أساس في نهضة البلاد متى ما توافرت لها الرؤية والإخلاص وقوة الإرادة والعزيمة والتصميم، ومتى ما تخلصت البلاد من الأنانية والفساد.

وأين إرادة الشعوب؟

وأين التعليم؟

أرى مظاهر التقدم المادي في الشوارع المنظمة النظيفة، فقد بدأ المطر منذ منتصف النهار بالأمس ولا توجد قطرة ماء واحدة متبقية على الأرض عدا قطرات على الكراسي، ومنها الكرسي الذي جلست عليه، ومن مظاهر التقدم التي يشاهدها المرء السيارات الكورية التي هي أكثر من خمسة وتسعين بالمائة، والعجيب أن بها مظاهر السيارات فارهة، فلم يصنّعوا لأنفسهم إلاّ السيارات القوية المتينة، بل لعلهم بالغوا في رفاهية هذه السيارات وجمالها حتى ليشبه بعضها سيارات المرسيدس الألمانية، ويشبه بعضها الآخر السيارات الأمريكية والأوروبية. وكم رأيت من سيارة فظننت أنها أمريكية فإذ بها سيارة كورية.

ورأيت من مظاهر التقدم فيما عرض علينا من فيلم عن المؤسسة الكورية التي تسعى لنشر الثقافة الكورية واللغة الكورية (وليس الكروية التي شغلت بالنا كثيراً في العالم العربي).

هل سبب النهضة الكورية العمل الجماعي والارتفاع فوق الأنانية والنزعات الفردية، فهذه المؤسسة ترعى كما ذكرت سابقاً خمساً وسبعين أستاذاً لتدريس الثقافة الكورية حول العالم، ويا ليتني كنت شاباً لتخصصت في الثقافة الكورية لأنعم بدعم حقيقي منظم، لا أن أكون عبئاً ثقيلاً بالرغم من تخصصي الذي يعد نادراً.

لماذا نهضت كوريا، ولماذا توقفنا أو حتى لم ننطلق؟

كيف اعتنت كوريا بالتعليم؟ هل كوّنت المعلمين تكويناً حقيقياً في معاهد عليا، لا يقبل فيها إلاّ من تنطبق عليه مواصفات خاصة، لا من أخفق في الدخول إلى الكليات الأخرى، فكان التعليم هو خياره الوحيد. و قد وجدت من خلال تجربتي في التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية أن طلاب الدراسات الإسلامية هم في الغالب ممن لا يجد قبولاً في أي مكان آخر، وعندما تسأل لماذا لا ترفعوا نسبة القبول أو تشترطوا مستوى أعلى؟ قالوا: هل تريد أن يغلق القسم؟!! والله إن إغلاق القسم أولى من أن يؤتمن على دين الله من لا عقل له ولا فهم ولا طموح ولا أخلاق (أحياناً) ولا تدين حقيقي (أحياناً)، هذا دين الله يحتاج إلى قدرة عقلية متميزة، وليس إلى ما كنّا نسميه (النطيحة والمتردية...).

ثم كيف أعد الكوريون مدارسهم من حيث المباني والتجهيزات؟ هل كانوا كرماء أو عقلاء في أن بنوا المدارس حتى لا يبنوا السجون؟ أو هل قدموا بناء السجون والإصلاحيات على حساب المدارس؟ إني لأخالهم كرماء (المسألة نسبية) فأتاحوا لأبنائهم أن يدرسوا في مدارس

محترمة، وليست مباني مستأجرة بنيت لتكون شققاً سكنية ومساكن حتى ليجتمع في الفصل الواحد ما يزيد على خمسين طالباً، أو مباني ينقص فيها الأكسجين حتى ليكاد الطلاب أن يختنقوا من ضيق المكان وسوء التهوية، كما عرف عن بعض المباني في جامعة الملك سعود في منطقة البديعة، وهي من أحياء الرياض الأقل حظاً.

الشعب الكوري شعب عامل لا يحتقر أي عمل، ففي هذا الصباح رأيت امرأتين إحداهما تجر عربة جمعت فيها علب الصفيح الفارغة وكانت تجرها خلفها، والمرأة الثانية تجر برميلاً من البلاستيك جمعت فيه الكرتون الفارغ بعد أن طبقته وأعادته إلى حالته قبل أن يصبح في شكل الصندوق.

لماذا نهضت كوريا ولم نتحرك نحن؟ سؤال كبير حقاً، فهل تنقصنا إرادة النهوض؟ أو تنقصنا المؤهلات لننهض؟ لقد نظرت فوجدت أننا أكثر البلاد في العالم طاردة للعقول؟ وأكثر البلاد نزيفاً في العقول؟ لقد طالبت أمريكا قبل سنوات بحقوق اقتباس أفكار الأفلام الأمريكية، ونسي الأمريكان أن عليهم أن يسددوا فاتورة عشرات الألوف من الأطباء والمهندسين الذين استولت عليهم أمريكا أو فرطت فيهم الحكومات المصرية المتعاقبة. إن الطبيب الواحد يكلف مئات الألوف من الدولارات حتى يتخرج ثم تحصل عليه أمريكا دون أن تدفع مليماً أو قرشاً أو جنيها أو دولاراً واحداً.

في إحدى المحاضرات استشهد المحاضر بالأرقام المرعبة لتقرير الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية (وليست البشرية) لدول العالم العربي،

فتساءلت: هل يلام الطلاب العرب الذين ابتعثوا إلى الغرب، وعادوا بعلم وشهادات وروح طموحة، ثم واجهوا بيئة لا تشجع على الطموح ولا الإبداع؟ هل يلاموا أنهم لم يطوروا البلاد؟ هل يلام الأستاذ الجامعي إن كان راتبه حين يحصل على الدكتوراه لا يزيد على عشرة آلاف ريال، وحين كانت بعض الجامعات تستأجر سكناً بعشرات الألوف لأساتذتها؟!! بينما جامعات أخرى تحول البند إلى مصروفات رئاسة الجامعة أو غير ذلك من البنود التي تحتاج إلى تعزيز أو أستاذ ينتظر خمس سنوات ليصرف له بدل الانتداب، بينما يتخاصم المدير مع وكيله على عدد الأيام التي تحتسب لأحدهما ولن أفصل!!

ننهض حقاً حينما يكون الرجل المناسب في المكان المناسب، لا أن تكون الإدارة تتسم بالفوضى، كم سمعت في بداية حياتي عن انقلابات في العالم العربي تقول في بيانها الأول إنهم جاؤوا للقضاء على الرشوة والمحسوبية، والقضاء على الأمراض المزمنة من المرض والفقر والجهل، وإذ بأصحاب الانقلاب يكونون أسوأ ممن سبقهم!! لماذا نجح عسكريو كوريا ولم ينجح العسكريون عندنا مع أن العقلية العسكرية واحدة في كل أنحاء العالم فيما أعتقد؟!!

☼

معتوه يطلب المال بالقوة والضرب

بينما كنّا نسير -خديجة وهاشم وفاطمة- قريباً من القصر الكبير في وسط العاصمة سول، إذ بمتسول أو معتوه يعترض طريق خديجة ويطلب مبلغاً من المال، فلم تعطه أو لم تفهم فلكزها، فردت عليه الضربة، ونادتني فأتيت وكان الطريق مزدحماً فأسرع رجل كوري لإنقاذنا فحاول أن يكلم المعتوه ليتركنا وشأننا، وطلب منا الرجل أن نبتعد عن المكان.

فتأملت الأمر لماذا تطوع شخص كوري للدفاع عنّا؟ يخجل الشعب من مواطن معتوه يضايق المارة، وقد يكون في البلاد معتوهون يضايقون الشعب كله، ويكونون هم الذين يحكمون على الناس!! من العاقل ومن المعتوه!! ولكن ألم يكن فرعون معتوهاً يستبد بالناس ويطغى عليهم؟ ولكن من كان يملك الشجاعة لمحاسبته؟ أليس هو الذي يقول: -فرعون القديم والفراعنة الأحدث-: (ما علمت لكم من إله غيري). وقال هذا يخاطب الملأ، وإلاّ فالشعب أقل من أن يتوجه إليه بأي خطاب. أليس من العته والجنون أن يقول: (ما أريكم إلاّ ما أرى وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد)؟

نخجل من معتوه واحد واثنين وعشرة، ولا نخجل من معتوهين يستبدون بالناس ويطغون، ويمارسون كل أنواع الدجل و"البلطجة" (كما يقول المصريون) ولا نتحرك لتأديبهم؟!! تضايقت وتضايقت زوجتي والشاب الكوري من معتوه طلب قطعة نقد لو أعطيناه إياها لسار في حال سبيله بالرغم من أنه لا يعرف قيمة أي قطعة نقد، بل هو لا يعرف قيمة الحياة كلها، فقد سلب منه أغلى شيء في الحياة وهي نعمة العقل. هذا معتوه واحد وقطعة نقد فما بالكم بمن مارس العته باحتراف ومهنية عالية (كما يقال)، فأوحى إلى الناس أن كل ريال في أيديهم سيصبح مليونًا؟!! وبدأ الريال يزيد بمتوالية هندسية، وقام الناس ببيع كل ما يملكون، واستدان بعضهم، وفرحت البنوك، ففتحت الأبواب للعبة الأسهم. وفجأة بدأ الناس يخسرون ويخسرون والبنوك تطالبهم بالتسديد، فحجرت على أموالهم وأرصدتهم. لو كانوا معاتيه وهم كذلك، فلماذا فعلوا بالناس ما فعلوا؟ لقد أصيب البعض بسكتات قلبية وجلطات وانتحر بعضهم، فمن يتحمل كل تلك الأرواح والأنفس؟!!

هذا الذي لعب لعبة الأسهم مد يده إلى جيوب الناس فأخذ منهم كل ما أوهمهم أنه أعطاهم إياه، حتى عادوا كما يقولون: (ربي كما خلقتني) أي كيوم ولدته أمه لا يملك شيئاً؛ بل لعل المولود أفضل منه، حيث يوجد حوله أب أو أقارب وأم يعتنون به، ويحنون عليه ويعطفون، أما الذي سقط في جريمة الأسهم فمن له؟ فالكل شامت به وليس له من يحميه من هوامير وحيتان أسواق الأسهم.

وسرت في شوارع سول المحيطة بقصر قديم (لم أزره) ولهذا القصر حرس مكون من عدد من الفرق التي ترتدي أزياء مختلفة وألوان زاهية الأحمر والأصفر والأزرق وغيرها من الألوان، وأزياء عجيبة، يرتدي الرجال التنورات ويرتدون قبعات طريفة الشكل. ويمشون مشيات عجيبة على قروع الطبل وغيره من الأصوات.

لقد كان هذا الحرس من عهد الملكية أو عهود الملكية في هذه الديار، بالرغم من أن الجمهورية لها زمن بعيد في هذه الديار وفي غيرها، ولكنك تجد أن هناك عناية بالقصور وبأنماط الحياة وغيرها، وقد اتخذت متاحف للزيارة وجذب السياح حتى الحصول على دخل معين مقابل ذلك؟ فما الأسباب للعناية بتلك العصور الخوالي؟

ومن عادتي ألا أتوقف عند الظواهر فأتساءل لماذا كان الملوك يتخذون مثل هؤلاء الحراس؟ هل كان لديهم الوقت الفراغ ليشاهدوا كوكبة من الحراس تمر بين أيديهم أو يمشون هم يستعرضونها، ويجلعون رجلاً يمشي بين أيديهم بحركات بهلوانية يرفع رجلاً إلى السماء ويخفض أخرى، وكأنه سيقع في أي لحظة؟ ولكن هذا الذي يحمل ما يشبه السيف أو حديدة حادة عمّاذا تعبر؟ ولماذا يرفعها ومن أول واحد قال بها؟

قرون وقرون والملوك يحبون أن يخضع لهم الشعب، فيتخذون أفراداً من الشعب، ويتفننون في جعلهم يرتدون أزياء بهيجة ويسيرون أمامهم بحركات معينة كأنها حركات بهلوانية، وكأنما وقف شخص لينظر في مجموعة قرود، تقوم بحركات بهلوانية إن قدمت لها حبات من الموز.

وأتساءل: ما فائدة هذا العمل؟ هل هو عمل منتج؟ هل هو عمل يجعل الدماغ يشتغل؟ ولكن لماذا بعد أن انتهت الملكية بعشرات السنين أو بقرون تفتح الجمهوريات هذه القصور بصفتها متاحف ليقلدوا ما كان يحدث؟

ولو كنت مكان هؤلاء الجنود هل أقبل أن أمضي حياتي أقلد هذه الحركات السقيمة؟!!

وخارج أسوار القصر في سول توجد شوارع ضيقة وحدائق، كما يوجد متحف سيول أو سول للفنون، وبجوار هذا المتحف والشوارع المحيطة في وسط العاصمة يوجد عدد من المشردين والهائمين على وجوههم، كان أحدهم ينام على مقعد من البلاط على رصيف أحد الشوارع، وتحت رأسه ملابس أو حقيبة اتخذها وسادة، وهي وسادة عالية أو مرتفعة، وكان ينام بملابسه كاملة، حتى حذاؤه كان مربوطاً، وكانت إحدى يديه تلمس مظلة سوداء على أحد جوانب المقعد الذي اتخذه سريراً.

وجاء رجل آخر ومعه حقيبة فجلس على المقعد وجلس يفكر وشرد ذهنه بعيداً وطويلاً، ويبدو أنه ما زال لا يشعر بالنعاس، فليت شعري ماذا كان يفكر قبل أن يقرر أن يخلد إلى النوم؟ ووجدت أن عدد المشردين في شوارع سول ليس قليلاً، ولكنهم في الغالب من النوع المسالم، فلم ألحظ في أيديهم قوارير خمر ولا سلوكاً عدائياً عدا واحد. ولكن ربما لو جئت ليلاً لرأيت بعض السلوك المعادي، ولكني لم أغامر.

ويحلو لي أن أقارن بين نومة هذا المشرد في الشارع وتسير السيارات بجواره وبين من ينام في أحد الفنادق المطلة على تلك الشوارع، حيث

الفراش الوثير والماء الجاري السلسبيل، والجو المكيف والهواء العليل والتلفاز ذو المائة قناة، وقد أغلقت النوافذ وأرخيت السدول والستائر حتى لا تدخل أشعة الشمس أو أشعة إنارة الشوارع ونام في هدوء تام. أيهما أسعد؟ لن أحكم فالمسألة نسبية وكم مشرد غير مشرد، وكم نزيل فندق فخم مشرد!!!

وبعيداً عن المشردين وليس ثمة مشردات، رأيت الشرطة في سول كانوا يمشون اثنين اثنين، كأنهما عنتر وغوار، وبعد مدة رأيت ثلاثة معاً، ثم صاروا أربعة وخمسة، وكان يقف بجوار الميدان الذي أسكن فيه حافلة للشرطة، وكان رجال الشرطة يسيرون مسالمين يرقبون الوضع. أما الحواجز الأمنية والصبات فالحق أقول ليس في سيول صبّة واحدة إلاّ ما يستخدم في البناء والتشييد. فلماذا تختفي الصبات والحواجز في سيول مع أن الحالة بينها وبين كوريا الشمالية إنما هي هدنة وليس وقف حرب؟ وقد سمعت عن وزارة اسمها وزارة التوحيد، فهل الكوريون يسعون إلى التوحيد؟ وكيف يتوحد النظام الشيوعي مع النظام الرأسمالي والنظام المحتل مع النظام الذي يرى أنه مستقل؟ أتعجب لماذا تبقى الكوريتان منفصلتين أو متخاصمتين؟ هل هذا ليستمر الوجود الأمريكي في المنطقة؟ ولي حديث عن الجنود الأمريكان في مكان آخر إن شاء الله.

الحياء والأخلاق في كوريا!!

كدت أقول: إن في كوريا حياءً وأخلاقاً وخجلاً، ذلك أني لم ألحظ الإعلانات الفاضحة في الشوارع، أو على أبواب النوادي الليلية وما أكثرها في المنطقة التي نزلنا فيها في مدينة دايجون، ولكني لاحظت غرام الكوريين بالشاشات التلفازية أو حتى إن مبنى كاملاً جعل كشاشة يعرض فيها بعض الإعلانات وصور للبحر والدلفين، وفي هذه الشاشات مقاطع من أفلام وإعلانات، وتظهر فيها نساء بلباس خليع أو غير محتشم.

ونظرت فوجدت أن الكوريين أخذوا عن الأوروبيين الملابس الفاضحة بالنسبة للنساء، ولم أشاهد فيلما كورياً كاملاً، ولكن عرفت أن عندهم صناعة سينما مزدهرة وبخاصة القائمة على الرياضات التي تسمى رياضات الدفاع عن النفس. والدفاع عن النفس أحياناً توحش، ففي أفلام الكاراتيه وغيرها تظهر مناظر غاية في القسوة والوحشية، وقد وصف الاحتلال الياباني بالوحشية، ونظراً للقرب الجغرافي بين اليابان وكوريا فلابد أن بينهما صفات مشتركة. ووحشية اليابان أنه كان

عندها ما يسمى الجيش الرابع، الذي كان مقره مدينة هيروشيما، وقد كان هو الجيش الذي غزا الصين.

وحتى أتأكد من وضع المرأة والحياء في كوريا قررت البحث في الإنترنت فكتبت عبارة (البغاء في كوريا) فكانت من أوائل المقالات تتحدث عن انتشار البغاء والرذيلة تقول: «بالرغم من عدم وجود مناطق الأنوار الحمراء أو بنات ليل أو بغايا يقفون على الشوارع، وعدم وجود قوادين يمارسون الترويج للبغاء، لكن هذا لا يدل على عدم وجوده، بل هو موجود بكثرة، حتى إن دراسة أجريت عام ٢٠٠٣م أظهرت أن ٤١،١٪ من نساء كوريا في العشرينيات من أعمارهن يمارسن بيع أنفسهن. ولكن ماذا بعد عام ٢٠٠٣ هل اشتدت الأزمة وتفاقمت أو تقلصت وقلت؟ والجميل أن البلاد الغربية أو من أخذت بالمنهج الغربي تجري دراسات حول كل شيء، تحاول أن تضع له حلولاً. وقد علمت عندما كنت في زيارة لتايوان أن وزارة العدل توظف باحثين أكاديميين لعمل دراسات على الجريمة واتجاهاتها.

أما انتشار البغاء في كوريا فثمة مواقع أخرى تحدث فيها نساء كوريات رجعن عن هذه المهنة أكدن أن وجود الجيش الأمريكي ساعد على انتشار هذه المهنة، وتتهم إحداهن الحكومة الكورية بالتواطؤ مع الجيش الأمريكي على أن تعمل نساء من كوريا في هذه المهنة. ووجود الجنود الأمريكيين أمر مزعج، فقد رأيتهم يأتون إلى الفندق الذي نزلنا فيه في مدينة دايجون، كما رأيتهم في بعض الفنادق القريبة وفي مدينة سول، وهم يسيرون في الشوارع ببزاتهم العسكرية الأمريكية

والعلم الأمريكي ملصق بأكتافهم. فهل هذا من استعراض القوة؟ ولماذا لا يقتصر الوجود الأمريكي على الثكنات العسكرية؟ كما وجدت في مواقع أخرى الحديث عن أن كوريا كانت محطة سياحية للجنس والبغاء يأتيها الرجال من الدول المجاورة.

والبغاء والفاحشة أمر حذر منه القرآن الكريم، وما أجمل ما ذكر في هذه المسألة بتوجيه أصل المشكلة إلى الرجل في قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ وأكد القرآن أن الزنا فاحشة وساء سبيلا، ولم يأمر بعدم الزنا بل أبلغ من ذلك، أمر بعدم الاقتراب منه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

وربما كان انتشار البغاء هو سبب إقبال الرجال على الزواج من خارج كوريا، حيث إن سبعة وسبعين بالمائة ممن حصلوا على الجنسية الكورية كانوا من النساء. فهل هو نفور من الرجل الكوري أن يقترن بكورية؟

يوم في الملاهي:

الملاهي في سول مدينة ضخمة تشبه ملاهي ديزني لاند الأمريكية التي زرتها عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري، وزرت بعدها مدينة ملاهي في الدنمارك، ولكن ما لفت انتباهي بشدة هو صخب مدينة الألعاب الكورية، وطغيان البناء، وقلة الطبيعة والخضرة مقارنة بالحديقة الدنماركية. والموسيقى الصارخة أو الضجيج العالي كان مزعجاً لهاشم ابن الخمس سنوات، فكاد يصاب بالصداع، والصداع أمر غريب بالنسبة للأطفال لم أسمع به من قبل. وعلى ذكر الضجيج

فقد ركب هاشم وأمه وفاطمة سيارة أجرة، فأدار السائق محطة الراديو فكانت موسيقى، فسأله هاشم أليس عندك شريط قرآن؟ فقالت له أمه: هؤلاء لا يعرفون القرآن. وهل نستطيع أن نوصل إليهم القرآن الكريم؟ لقد لاحظت أنه في الفنادق يوجد الإنجيل باللغة الكورية والإنجليزية وكتاب بوذا، فهل يمكن أن تقوم جهة أو جهات إسلامية بالاتفاق مع الفنادق حول العالم بوضع نسخة من القرآن الكريم؟

ويبدو أن الكوريين مبتلون بشركات الأغاني أو قنوات الأغاني، وكما قال أحدهم في الشارع مكون من حانات وبين كل حانة وحانة حانة ثالثة. وهكذا مؤشر الراديو ينقلك من محطة أغاني إلى محطة آخرى، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. ومن مظاهر الاحتيال في مدن الألعاب أنهم يبيعونك تذكرة عند الباب تدخل أو يدخل الطفل بموجبها كل الألعاب، ولكن فوجئ بعد الدخول أن هذه اللعبة لها رسوم إضافية، وتلك لها رسوم، وهذا حتى كأنك لم تدفع رسوم الدخول. ولكن الأمر الثاني يمكن أن يكون في سوء التفاهم مع موظفة الشباك، فلا تكون دفعت المبلغ الذي يتيح لك ممارسة كل اللعبات.

هاتف الموظف النقال:

بينما كنّا نهم بركوب أحد القوارب في جولة في الماء (لا أدري هو نهر أو بحر أو بركة واسعة نوعاً ما)، المهم كان الموظف منهمكاً في النظر في تذاكر الجمهور وترك هاتفه النقال على الطاولة أمامه، وكان هاتفاً فيما يبدو من النوع الثمين وفقاً لما أكدت خديجة. ونظرت في الناس الراكبين لعل أحداً يستهويه الهاتف فيأخذه ولكن كأنها قطعة ورق أو علبة مناديل

أو أرخص فلم يلتفت إليه أحد. وفي بعض بلادنا العربية تحدث سرقات الهواتف النقالة، بل هناك أسواق مزدحمة لبيع وشراء أجهزة الهاتف النقال، ولا تحتاج إلى فراسة قوية لتدرك أن كثيراً من الذين جاؤوا لبيع هواتف نقالة إنما هم قد سرقوها من شخص آخر. وأتعجب من أصحاب المتاجر لا يكتشفون السرقات وهم يعرفون هؤلاء الذين يأتون إليهم كل يوم أو كل عدة أيام فلا يمكن أن يكون الشخص الذي يتكرر باستمرار يبيع هاتفاً اشتراه بحر ماله، ويقبل الخسارة الكبيرة. ليت أصحاب هذه الدكاكين يتصلون بالشرطة؟



قراءات في الصحف الكورية (ليست الكروية!!) (١)

بما أن كوريا كما أسلفت تهتم بصورتها في الخارج، فهي تتيح لزوارها أن يطلعوا على أوضاعها الداخلية من خلال أكثر من صحيفة يومية باللغة الإنجليزية (من الطريف أنه ليس في السويد صحف باللغة الإنجليزية، وإنما تستطيع أن تعرف أخبار السويد بالإنجليزية من خلال الإنترنت)، وكذلك من خلال برامج كثيرة لنشر الثقافة الكورية في أنحاء العالم. وقد أصبح هناك متخصصون في كوريا والثقافة الكورية وصلوا بحبهم لكوريا درجة العشق والوله، حتى إن أحدهم يصف الحروف الكورية بأنها أجمل أبجدية على وجه الأرض. ولكن هذه وجهة نظر ولا تتعجب فأنت في كوريا.

وخلال الأيام القليلة التي كنت فيها في كوريا حرصت على الاطلاع على الصحف الصادرة باللغة الإنجليزية، وكانت متوافرة في الفندق عند مكتب الحارس أو البواب، وفي بعض الفنادق يوصلونها إلى باب غرفتك. وكنت أمرّ صباحا وألتقط ما يتوافر منها، فإن وجدت مقهى به

قهوة مرّة مرّة جداً (جداً لتقوية الضعيف كما يقول اللغويون)، ولذلك فهي قهوة علقم (ويا ويلكم من العلقم)، فكثير من العرب يتجرعونه يومياً ولا يعترضون. ومع القهوة أقرأ الصحف، وأختار منها مقالات أعمل منها قصاصات (تجمع لدي في سالف الأيام ما يقارب العشرة آلاف قصاصة) أو أقص الصفحة كاملة ثم تتاح الفرصة فأكتب ملخصها، وإليكم ملخص بعض ما قرأت في الصحافة الكورية في الفترة من ٥-١٠ أغسطس ٢٠٠٩م (١٤-٢٠ شعبان ١٤٣٠هـ).

- سول تشيخ بسرعة: مقالة بقلم بائي جي سوك Bae Ji-Sook نشرت في كوريا تايمز يوم ٥ أغسطس ٢٠٠٩م، ويقول الخبر: إن عدد الذين تجاوزوا الخامسة والستين ارتفعوا بنسبة ٧٧٪ خلال العشر سنوات الماضية، مما يفرض على الشباب أن يدفعوا ضرائب أعلى للإنفاق على كبار السن، وقد بلغ عدد السكان الذين هم فوق الخامسة والستين عام ٢٠٠١ أكثر من نصف مليون، ونسبتهم إلى عدد السكان هي ٧,٥٪ وفي عام ٢٠٠٨م أصبحوا ثمانمائة وثمان وتسعين وسبعمائة بنسبة وصلت إلى ٩،٥٩٪ ، ويذكر الخبر أن من أسباب ذلك أن النساء العاملات يرفضن الإنجاب خوفاً من تعارض الإنجاب مع الوظيفة، والنساء اللاتي يتقاضين أجوراً يمتنعن عن إنجاب طفل ثان.. وتفكر الدولة في أن توفر مبلغ ثلاثين بليون وان للأسر التي لديها ثلاثة أطفال، كما زادت الوزارة ساعات حضانات الأطفال والروضات. ومن الطريف أنني كنت في معمل مادة علم الأحياء بجامعة أوريجن بمدينة يوجين بولاية أوريجن في صيف عام ١٩٦٩م فكان الدرس عن تحديد النسل، فكتبت مقالة لأستاذ المادة

أقول: لو أن الغرب استمر في تحديد النسل فسوف يأتي اليوم الذي يكثر فيه الكبار وتقل الأيدي العاملة أو الشابة مما يضع عبئاً على الشباب للإنفاق على كبار السن. فأعجب الأستاذ بالإجابة، ولكنه كتب (تفكر جيداً ولكنك غير منظم)، وكنت قد كتبت الواجب بسرعة وبلا ترتيب.

- هيئة حقوق الإنسان الكورية تطالب بإلغاء عقوبة القتل، حيث رفعت الهيئة المطالبة للمحكمة الدستورية العليا لإلغاء هذه العقوبة أسوة بما يحدث في مناطق أخرى من العالم. ولم يدرك الكوريون وغيرهم أن الحق سبحانه وتعالى أعلم بشؤون خلقه حينما شرع الحدود في قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب). وكانت العرب تقول: (القتل أنفى للقتل)، والذين يعملون في الشرطة في الغرب وفي أنحاء العالم يدركون أن إلغاء عقوبة القتل إنما تزيد القتل تفشياً والجرائم انتشاراً.

- موظفون حكوميون يواجهون العقوبة لانتقادهم الحكومة، ويعتزم هؤلاء الموظفون أن يشنوا حرباً قانونية ضد الحكومة لسوء استخدامها سلطتها. وفي أماكن أخرى من العالم يواجه من ينتقد رؤساءه أنواعاً من الاضطهاد والظلم من حرمان من الحقوق ومن ترقيات وزيادات وغيرهما، بل يحال إلى التقاعد قبل أن يحين موعد تقاعده، ويشاع عنه أنه متمرد وعاص ومشاغب، وهو بعيد كل البعد عن هذه الصفات، بل كل عيبه أنه انتقد رئيساً من رؤسائه، فوضع فيما يسمى القائمة السوداء.

- كوريا قد تصدّر أسلحة ذاتية الانطلاق إلى أستراليا، فقد تقدمت شركات ألمانية إلى الحكومة الأسترالية ولكنها لم توف بالشروط، فقد تذهب الصفقة إلى شركات كورية.

إعلان في إحدى الصحف الكورية عن الخدمات الدينية في مدينة سول، وجدت أنها تتضمن ما يأتي: واحد وثلاثين كنيسة تقدم الصلوات يوم الأحد في سول، وستة معابد بوذية ومسجد واحد ومعبد هندوسي. ووجدت أن الكنائس تتنوع بين كاثوليكية وبروتستانتية ومعمدانية وغيرها، ويوجد عناوين تلك الكنائس وأرقام الهواتف. أما إعلان المسجد فهو عن موعد صلاة الجمعة، وأنها باللغة العربية والكورية والإنجليزية، وفكرة عن مواعيد الصلوات الخمس.

تأخر إطلاق الصاروخ الكوري إلى الفضاء:

أعلنت وزارة التعليم والعلوم والتقنية تأخر إطلاق أول صاروخ كوري إلى الفضاء بسبب ظروف فنية، وقد كان من المقرر إطلاق هذا الصاروخ في أكتوبر عام ٢٠٠٦م، وقد تم تأجيل هذا الإطلاق خمس مرات. وعندما يطلق الصاروخ فإن المركبة سيكون طولها ٣٣,٥متر، وتزن مائة وأربعين طنّا، وقد كلفت ٤١٢بليون دولار (٥٠٢،٥ بليون وان كوري)، وستحمل المركبة قمراً صناعياً.

الحكومة الكورية تسعى إلى تشجيع صناعة الخمور الكورية، وبخاصة نوع من النبيذ المصنوع من الرز، وتشجيع هذه الصناعة لتصبح مصدر دخل مهم للحكومة الكورية، وتؤكد الحكومة أن هذا الشراب صحي (؟) وستكون نسبة الكحول فيه أقل من السابق.

زيادة عدد الأجانب في كوريا على مليون شخص، وكانت الزيادة في العام وحده قد بلغت ٢٤٪ أو ٢١٥,٥٤٣، وعدد الأجانب المقيمين في

كوريا الآن قد بلغ مليوناً ومائة وستة آلاف وثمانمائة وأربعة وثمانين (١١٠٦٨٨٤)، ويبلغ هذا العدد نحو ٢,٢٪ من عدد السكان البالغ تسعة وأربعين مليوناً ونصف المليون، وأكثر من ستين في المائة من الأجانب يعيشون في مدينة سؤول وضواحيها.

حاكم ولاية جي جو JeJu يمنع من العمل أو تكف يده عن العمل حتى الاستفتاء العام على استمراره في ٢٥ أغسطس، وسبب كف يد الحاكم عن العمل أنه تصرف بطريقة مخالفة لرغبة سكان المحافظة، فقد أذن ببناء قاعدة بحرية في المقاطعة. والسؤال كم رئيس أو مسؤول في عالمنا العربي أو الإسلامي اتخذ قراراً ولم يحاسبه أحد؟ وأتذكر كما قال البدوي قول الشاعر:

قالت الضفدع قولاً رددته الحكماء

في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

كوريا تنفق على بحوث التنمية والتطوير في قطاع الصناعة أكثر مما تنفق على قطاع الخدمات، والخبر يبين أن ما تنفقه كوريا أقل بكثير مما تنفقه الدول السبع الكبار، وانظروا إلى كوريا تقارن نفسها بالسبع الكبار، فبمن نقارن أنفسنا نحن؟!!!

قراءات في الصحف الكورية (٢)

كنت أظن أن بضع صفحات تكفي للحديث عن الصحف الكورية ولكني وجدت أنها تحتاج إلى أكثر من ذلك، وفيما يأتي قراءات أخرى في تلك الصحف:

تشترك صحيفة كوريا تايمز مع لوس أنجلوس تايمز الأمريكية بنشر صفحتين أسبوعياً، وفيما يأتي بعض تلك المقالات، وهي وإن كانت لا تتعلق بالكوريين مباشرة، ولكنها توضح القضايا التي يهتم بها الكوريون. وأول المقالات عن انتشار الإدمان على المخدرات في أفغانستان. فهذا البلد الذي اشتهر بأنه أكبر زارع ومصدّر للأفيون، ينتشر فيه الإدمان على المخدرات بأنواعها، فبعد أن يصف الكاتب عدداً من حالات الإدمان من تدخين للحشيش إلى تعاطي الحقن وغيرها من أنواع المخدرات، يتساءل عن وجود دراسات حقيقية حول عدد المدمنين في أفغانستان، ويتحدث عن المصحات والمستشفيات للعلاج من الإدمان، كما يتناول الخبر طريقة تعامل الشرطة مع المدمنين، حيث إنهم يرون أن علاج هؤلاء أولى من اعتقالهم ووضعهم في السجون. ويضيف أن الأفغان

يرون أن المصيبة الكبرى هي في الأسواق الغربية، التي تستقبل الإنتاج الأفغاني من الأفيون، حيث يقول أحد الأفغان: لو لم تكونوا تستقبلون الإنتاج الأفغاني من الأفيون لكف الزرّاع عندنا عن زراعته.

معالجة الفقر في العالم ممكنة، حيث يرى الكاتب أن علاج الفقر والجوع يبدأ في علاج السمنة المفرطة في المجتمع الأمريكي، حيث بلغت السمنة حداً كبيراً، فثلثا البالغين الأمريكيين يعانون السمنة، وهذا الرقم مرشح للزيادة، والمقالة هي (المفتاح لإنهاء الجوع) بقلم الكاتب توماس هاجر Thomas Hager

«انتحار الفتيات الكوريات يتضاعف في السنوات الأربع الماضية» بقلم بائي جي-سوك Bae Ji-sook، ونشر المقال في كوريا تايمز يوم ٦ أغسطس ٢٠٠٩م.

ويقول الخبر: لقد تضاعف عدد النساء في سن العشرينيات اللاتي أقدمن على الانتحار في السنوات الأربع الأخيرة، وفقاً لتقرير وكالة الشرطة الوطنية، وقالت الوكالة: إن أسباب ذلك اقتصادية، وإلى مرض يسمى تقليد النجوم. ويرى مركز آسان الطبي، وهذا الأمر نادر عالمياً، حيث المعتاد أن عدد الرجال المنتحرين يكون مرتين إلى ثلاث مرات أكثر من النساء، ويعتقد أن الصعوبات الاقتصادية أسهمت في الأمر، وبخاصة عندما تشعر النساء أنه قد تُخلي عنهن، وكثير منهن يقلدن نجوم السينما، فقد ذكرت الأنباء عن انتحار عدد من النجوم، وفي استطلاع للرأي شمل سبعمائة شاب وشابة أفاد ٢٣,٦٪ منهم بأنهم يشعرون بالانجذاب إلى الانتحار بعد انتحار النجوم.

- تقويم الأساتذة في التعليم العام الحكومي

أمضت الحكومة الكورية خمس سنوات في إعداد امتحان لأساتذة التعليم العام الحكومي لقياس مستوى الأساتذة، وهذا النظام سيبدأ في تطبيقه في العام القادم، وقد أثار جدلاً واسعاً ذلك أن هذا النظام يقتضي أن الأساتذة الذين يحصلون على تقديرات منخفضة (ذيل الترتيب العام للأساتذة) سيتم إدخالهم في دورات متخصصة لتحسين أدائهم، ولكنهم إن استمروا في ذيل القائمة ثلاث سنوات، فإنه سيتم إيقافهم عن التدريس. وتخطط وزارة التعليم والعلوم والتقنية أن يلتحق أربعمائة أستاذ ممن حصلوا على تقديرات منخفضة في دورات تدريبية. أما الذين حققوا مستويات مرتفعة (قمة الترتيب) فإنهم سيمنحون حوافز متعددة منها أن تتاح لهم الفرصة للتفرغ للدراسة والبحث مدة عام كامل.

فأين تقويم الأساتذة عندنا؟ وأين الدورات التدريبية لهم؟ قد تكون موجودة ولكن هل لدينا نظام لتقويم الأساتذة؟ وهل ثمة نظام صارم يوقف الأستاذ عن التعليم إن ثبت فشله؟ أتمنى ألا يقتصر هذا النظام على التعليم الحكومي، بل لابد أن يطبق على المدارس الخاصة ثم يستمر في التعليم العالي.

- «هل نستطيع أن نفهم كوريا أبداً؟» مقالة بقلم الدكتور جون هيور في كوريا تايمز يوم ١٠ أغسطس ٢٠٠٩م.

والدكتور هيور أستاذ علم الاجتماع في جامعة ماريلاند، وقد حصل على بكالوريوس في علم الاجتماع عام ١٩٧١ والماجستير من

جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس عام ١٩٧٢ وعلى الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٧٥م، ويكتب بانتظام في صحيفة كوريا تايمز، ويبدو من سحنته وشكله أنه من أصل كوري، حيث إنه يهتم بكل ما هو كوري. ولكن لم يذكر في موقعه في الإنترنت سبب اهتمامه بكوريا، ولكن في رسالة خاصة أرسلها لي قال: إنه يهتم بكل ما هو كوري أو بكل شيء حول كوريا. وفي مقالته التي ذكرت عنوانها أعلاه يتناول أسباب صعوبة فهم الكوريين، الذين استولى العسكريون على السلطة في الستينيات أو في عام ١٩٦١ وفي خلال عشر سنوات استطاعوا أن تنطلق كوريا في نهضة كبيرة (لو رجعتم إلى الويكيبديا – لا أدري إلى أي حد يوثق بها- لوجدتم عجباً من أرقام اقتصادية مذهلة)، ولكن هذه الكوريا تصعب على الفهم، فهي وإن حاولت أن تخرج من عصر ما قبل الدولة القومية أو الدولة المدنية لكنها أحياناً تؤكد أنها لم تتجاوز عصر ما قبل الدولة القومية، ويقول في ذلك: «فلا تزال كوريا قومية عاطفية وغير عقلانية، كما كانت قبل الانتعاش الاقتصادي العظيم لمرحلة ١٩٦١-١٩٧١م، وما يستنتج من هذا وصف المجتمع الحديث اقتصادياً، ولكنه من الناحية الاجتماعية مازال قبل الحداثة الذي يتضمن كل الصدامات الثقافية غير المفهومة، التي هي طبيعية لمثل هذا التناقض التاريخي»، وأشار في مقالته إلى خمسة أمور تميز كوريا هي:

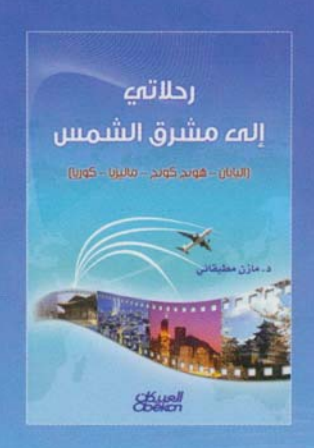
١- كوريا مجتمع قبلي.
٢- كوريا والخصوصية اللغوية التي تحمي كوريا.
٣- كوريا تؤمن بخصوصيتها.
٤- لا يمكن اختراق كوريا من قبل الغرب.

٥- كوريا في صراع مستمر مع نفسها.

● ويوضح الكاتب بعض تناقضات كوريا حيث يقول: « حتى في ذروة المظاهرات ضد أمريكا فإن استطلاعاً للرأي بين طلاب الجامعات الكورية أظهر أن الغالبية تفضل الجنسية الأمريكية على جنسيتهم، وهؤلاء الطلاب فيما بينهم أكثر ضجيجاً وخصومة، وأكثر الناس شجاراً في العالم، بل يتفوقون على اليهود الذين اشتهروا بالخصام. وسبحان الله ما أعظم وصف القرآن لليهود ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾.

● نقلت صحيفة كوريا تايمز عن لوس أنجلوس تايمز ما دار في دهاليز البيت الأبيض عندما قرر الرئيس الأمريكي أوباما زيارة مصر، وأن عليه أن يلقي خطاباً متميزاً وما دار في مكتب الرئيس بين كتّاب خطابات الرئيس، وكيف أنه أراده خطاباً مؤثراً، ويشير الكاتب إلى ما أثاره المقال من غضب بعض اليهود. والقصة في الحقيقة أن الرئيس أراد خطاباً تاريخياً يفتح به صفحة جديدة مع العالم الإسلامي، ولكن يبقى ما حقيقة نوايا الرئيس وخططه للمستقبل؟ هل يستطيع أن يتجاوز مراكز الضغط في الحكومة الأمريكية مثل اللوبي الصهيوني وغيره؟ هذا ما ستظهره الأيام القادمة.

☼



يقدم هذا الكتاب نوعاً من الرحلة يمزج بين البحث عن العلم والمعرفة وبين السياحة والاستجمام، يسعى إلى معرفة بعض شعوب الشرق واتجاهاتها الفكرية والنفسية والأخلاقية والسياسية كما يسعى إلى الاطلاع على بعض المعالم السياحية التي تتيحها الرحلة المخصصة أصلاً لحضور مؤتمر علمي أو زيارة أكاديمية. يقدم هذا في قالب أقرب إلى الأسلوب القصصي السردي من الكتابة العلمية الجادة.

يتناول الكتاب ملامح من تاريخ اليابان وحاضرها، يعطي بعض التفاصيل عن دمار مدينتيه بالقنبلة الذرية الأمريكية، كما يتناول الطبيعة اليابانية التي تتصف بالإصرار على العمل وعلى تخطي الصعاب والوقوف في مصاف الأمم المتقدمة. ويقدم كذلك وصفاً لأديان اليابان ومعابدها ومتاحفها وجامعاتها وجمال طبيعتها.

وفي ماليزيا يتناول الكتاب تلك التجربة الرائدة في بناء دولة حديثة يتجول في طبيعتها الخلابة ومحافظة شعبها على الطبيعة الخضراء للبلاد، كما يتناول بعض مظاهر التقدم والبناء لدى الشعب الماليزي الذي لم يمضِ على صناعة أول سيارة بأيد ماليزية سنوات معدودة حتى أصبح ما يزيد على ثمانين في المئة من السيارات في ماليزيا هي من صنع الماليزيين.

وأما هونج كونج فعلى الرغم من أنها عاصمة الضوضاء والضجيج والتلوث الضوئي والبيئي فإن مؤشر هونج كونج يعد أحد أهم المؤشرات الاقتصادية في العالم. هذه الجزيرة التي كانت مستأجرة أصبحت جزءاً من الصين الأم وبدأت الثقافة الصينية تحل تدريجياً محل الثقافة الأجنبية الدخيلة.

وكوريا صنعت المعجزة كما يقال؛ ففي أقل من نصف قرن تنتقل كوريا من دولة نامية إلى مصاف الدول الصناعية، فكيف استطاع الكوريون أن ينتقلوا من الحكم العسكري إلى النظام الحزبي والشفافية والمحاسبية ويبنوا نهضة تستحق الدراسة والتأمل؟!


ISBN:978-603-503-149-3
9786035031493

موضوع الكتاب: آسيا - وصف ورحلات

موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com